الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري تيزي وزو

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الأدب العربي

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

- التخصص: اللغة والأدب العربي
- الفـــــرع: تحليل الخطاب

إعداد الطالبة: مكلي شامة

الموضوع:

الحجاج في شعر النقائض

دراسة تداولية

لجنة المناقشة:

- د/صلاح يوسف عبد القادر أستاذ التعليم العالي جامعة تيزي وزو..................رئيسا
- د/ آمنة بلعلى أستاذة التعليم العالي جامعة تيزي وز...................مشرفة ومقررة
- د/ عمر بلخير أستاذ محاضر جامعة تيزي وزو.............................. ممتحنا
- د/حمو الحاج ذهبية أستاذة محاضرة (صنف ب)جامعة تيزي وزو .... ممتحنا

تاريخ المناقشة: **2009/06/27.**

السنة الدراسية: 2009/2008

فهرس الموضوعات

مقدمة...1
مدخل...6

الفصل الأول: العلاقة التخاطبية في النقائض.....................................22
تقديم..23
1- الوضعية التخاطبية ونوعية المخاطب...23
2- استراتيجية البناء 35
3- استراتيجية الهدم 53

الفصل الثاني: تجليات العلاقة الاستدلالية.......................................71
تقديم..72
1- آليات الادعاء...73
2- آليات الاعتراض..100
3- الوسائل البلاغية ودورها الحجاجي 110

خاتمة..120
قائمة المصادر والمراجع...124
ملحق...131

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

يعد الشعر أرقى الفنون الأدبية العربية منذ العصر القديم، حتى عُد وعاء يعبىء فيه الشاعر العربي أحاسيسه ومشاعره وأفكاره، وتعد النقائض أيضا من أرقى فنون الشعر في العصر الأموي، فقد كانت ظاهرة أدبية مميزة، حيث مثّلت لونا من ألوان الصراع الأدبي بين الشعراء. وعلى الرغم من كونها امتدادا لمساجلات العصر الجاهلي إلاّ أنها اعتبرت لونا جديدا من ألوان الأدب والمناظرة الأدبية، لما أحدثته من تقنيات جديدة في مجال الجدل والمحاجة الشعرية. فقد أصبحت المناظرة سمة هذا العصر، لا في مجال الدين والعقيدة فقط بل امتدت إلى المفاضلة بين البصرة والكوفة أيضا (اللغة والنحو) وبين الشعراء.

غير أن الدراسات السابقة لم تنظر إليها من هذه الزاوية، بل اهتمت بجانبها البلاغي والموضوعاتي، وتناولت هذه الموضوعات كأغراض لا كاستراتيجيات خطابية افترضتها السياقات الخارجية، من جهة، والإطار العام لها، من جهة أخرى، وعلى هذا الأساس جاء اهتمامي بهذه النصوص من وجهة نظر تداولية، محاولة في ذلك الكشف عن الاستراتيجية الخطابية التي يمكن النظر من خلالها إلى النقائض باعتبارها نصوصا حجاجية، لذلك وسمت بحثي بعنوان " **الحجاج في شعر النقائض**"، واقتصرت فيه على دراسة نقائض العصر الأموي فقط، وذلك من خلال نقيضتين إحداهما لجرير والأخرى للفرزدق، مع العلم أن عدد نقائضهما قد بلغ ثماني وثلاثين نقيضة للفرزدق وما يقابلها من نقائض جرير.

كان منطلق دراستي في هذا البحث هو النظرة التطورية للبلاغة الحجاجية الحديثة التي لم تعد تفصل بين الشعر والخطابة من ناحية عنصرين هما: "الإقناع" و"الإمتاع" بل

بالنظر إليهما من ناحية نقطة التقائهما وهو " الاحتمال "، كما يرى ذلك " محمد العمري " فالشعر يوهم بالكذب الذي يحتمل الصدق، والخطابة ترجّح الصدق مع احتمالها للكذب.

كما اعتمدت في دراستي لشعر النقائض، إلى جانب ذلك، على ما يمتاز به الشعر القديم عامة، فهو شعر يتأرجح بين التخييل الشعري والتصديق التاريخي. أما الخاص بالتخييلي فكونه شعرا، والشعر قائم على التخييل بالدرجة الأولى . أما الجانب الخاص بالتصديق التاريخي فلاشتماله على بعض المضامين والإحالات على وقائع وشخصيات تاريخية حقيقية. الأمر الذي يدفع القارئ إلى الانتباه إلى هذا النوع من الترجيح والتنازع بين ما هو تاريخي واقعي وبين ما هو تخييلي.

وإذا كانت هذه هي الأرضية التي اعتمدتها في تحليلي هذين النصين، فإن الدافع إلى ذلك هو البحث عن القوانين التداولية التي تحكمها، باعتبارها نصوصا فنية تقوم في بنائها على لغة إيحائية تلميحية وليست تقريرية، وباعتبارها لغة إيحائية لابد وأن لها قوانين خاصة بها قد تتفق أو تختلف مع تلك القوانين التي توصل إليها البحث التداولي الحديث في دراسته لمختلف الخطابات. إضافة إلى ذلك وباعتبار النقائض مناظرات شعرية حاولت أن أثير الأسئلة التالية: هل تتوفر فيها كل شروط المناظرة التي ألمح إليها "طه عبد الرحمان"؟ مع العلم أنه هو الذي أشار في كتابه " في أصول الحوار وتجديد علم الكلام " إلى أن المنهج المتبع في النقائض هو منهج المناظرة؟ أم أنها لا تخرج عن طبيعة الجنس الأدبي الذي تنتمي إليه وهو الشعر، الذي ينبني على الكذب، وبالتالي يتفرد ببعض الشروط الخاصة به؟

إنّ الهدف من هذه التساؤلات وهذه الدراسة : هو الكشف عن نوعية العلاقة الحوارية بين الشاعرين، وكذلك الكشف عن الآليات الحجاجية المستعملة من قبل كل شاعر لتدعيم قضيته وتفنيد قضية خصمه. وذلك من أجل محاولة إخراج النقائض من الدراسات

التاريخية والموضوعاتية، وتناولها من وجهة نظر حجاجية باعتبار النقائض تفاعلا خطابيا قائما على الادعاء والاعتراض. ولقد تبنيت لأجل ذلك بعض إجراءات النظرية الحجاجية الحديثة، معتمدة، في الدرجة الأولى، على جهود الباحث والفيلسوف " طه عبد الرحمان" الذي حاول أن يؤسس لمنهج كان سائدا في الثقافة العربية الإسلامية منذ القديم وهو منهج المناظرة، التي يرى أنها تقوم على علاقتين: الأولى علاقة تخاطبية، بجانبيها التواصلي والتعاملي، و الثانية استدلالية. كما حاولت أيضا أن أفيد من بعض مفاهيم التداولية الغربية الحديثة، وخاصة قوانين الخطاب لكل من غرايس وليتش وليفنسن، ونظرية أفعال الكلام لكل من أوستين وسيرل، ونظرية السلالم الحجاجية لدوكرو. وقد ساعدني على تطبيق هذه الإجراءات الكتب التالية:

- "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" و "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" ل: طه عبد الرحمان.

- و"استراتيجيات الخطاب" ل: عبد الهادي بن ظافر الشهري.

إلى جانب العديد من المصادر التراثية التي لها علاقة مباشرة بالبحث. كما لا أنسى أيضا أن أشير إلى الدراسة التي قامت بها الطالبة فتيحة بوسنة في مذكرتها الموسومة بعنوان: انسجام الخطاب في مقامات "جلال الدين السيوطي"، وحاولت من خلالها توظيف بعض إجراءات منهج المناظرة كما نظَّر له "طه عبد الرحمان" وحاولت تطبيقها على المقامات.

بناء على ذلك قسمت بحثي إلى فصلين بعد المقدمة والتمهيد.

تحدثت في التمهيد عن إمكان ارتباط الحجاج بالشعر، كونه خطابا تتوفر فيه سمات أي خطاب لغوي. ثم عرّجت على تعريف النقيضة لغة واصطلاحا وكيف يمكنها أن تشكل نموذجا حجاجيا شعريا، ثم تحدثت عن الأشكال التي يمكن أن تكون عليها المناظرة، فهي

إما نوع أدبي، أو شكل من أشكال الخطاب الحجاجي، أو منهج أو علم ثم أوضحت قوانين المناظرة باعتبارها منهجا كما أسس لها " طه عبد الرحمان ".

أما في الفصل الأول المعنون " العلاقة التخاطبية في النقائض "، الذي قسمته إلى ثلاثة مباحث، فتناولت فيه أولا: العلاقة التخاطبية ونوعية المخاطب، باعتبار النقائض تُظهر إلى حد بعيد شخصية المتكلم والمخاطَب أو المخاطَبين في الخطاب، ثانيا : المسار الشكلي والتفاعلي للمناظرة، وذلك بدراسة استراتيجية البناء في النقائض من خلال قصيدة الفرزدق "إن الذي سمك السّماء"، حيث تجلّى لي انحصارها بين استراتيجيتين تواصليتين: التضامنية والتوجيهية، واستراتيجية النقض في النقائض من خلال قصيدة جرير "سم ناقع" الذي قام بدوره باختيار الاستراتيجيات السابقة نفسها للرَّد على الخصم.

أما في الفصل الثاني الذي عنونته ب" العلاقة الاستدلالية في النقائض " فقد تناولت فيه الاستراتيجية الإقناعية من خلال دراسة الآليات الحجاجية الموظفة في النصين، و تظهر من خلال عمليتي الادعاء والاعتراض، اللذين حواهما المبحثان الأول والثاني وهما: آليات الادعاء، وآليات الاعتراض. ثم أدرجت فيه استراتيجية أخرى تشكل مبحثا من مباحث هذا الفصل وهي الاستراتيجية التلميحية، باعتبارها استراتيجية رابعة من استراتيجيات هذين الخطابين، إضافة إلى كونها من الآليات الحجاجية الإقناعية، فهي تعكس الخصوصية التخييلية للنص الشعري، وذلك من خلال دراستها في عنصرين هما العنصر الخاص بالاستعارة الحجاجية، وتناولت فيه آليتي الادعاء والاعتراض للمعنيين الحقيقي والمجازي، باعتبار الواقع واعتبار القيمة، والعنصر الخاص بالتمثيل القياسي ودوره الحجاجي في النقائض.

وختمت بحثي بعرض أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال مسار هذا البحث. كما أضفت أيضا ملحقا أوردت فيه النقيضتين اللتين اعتمدتهما في دراستي .

أخذ البحث مني جهدا ووقتا نتيجة الصعوبات التي يمكن أن تواجه أي باحث في بداية البحث، ولعلّ أهمها هي صعوبة بعض الألفاظ الواردة في النقيضتين، حيث استوجب الأمر منّي، في الكثير من الأحيان، الرجوع إلى القواميس والمعاجم، أو إلى الشروح (شرح نقائض جرير والفرزدق) لفهمها، وأيضا نقص المراجع والبحوث التي تناولت الشعر تناولا حجاجيا، إضافة إلى ذلك صعوبة تأقلمي مع هذه الأشعار في بداية بحثي نتيجة التصوير الفاحش المُلتمس في بعض أبياتها.

وأختم ما تقدم بكلمة شكر وعرفان للأستاذة المشرفة الدكتورة " **آمنة بلعلى** " التي لم تبخل علي بنصائحها وإرشاداتها، والتي سخرت لي أيضا مكتبتها، وكانت صبورة جدا معي طيلة مدة إنجاز هذا البحث. كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر أيضا إلى الأستاذ الدكتور" **صلاح يوسف عبد القادر** " الذي أفادني كثيرا بما يعرفه عن النقائض. وأشكر كل من ساعدني على إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد. ودون أن أنسى في النهاية أن أتقدم بجزيل الشكر للجنة المناقشة على قراءتها المذكرة وعلى ما ستبديه من ملاحظات أثري بها هذا العمل.

والله ولي التوفيق

تيزي وزو في:05 /أكتوبر/2008

مدخل

ارتبط الإقناع منذ أرسطو بفن الخطابة و عُدَّ فرقا جوهريا بين الشعر والنثر، إذ يرى أن " الريطورية• قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحدة من الأمور المفردة"[1] أما الشعر فهو يهدف إلى التطهير من انفعالات الخوف و الرحمة وهو" لا يريد أن يبرهن على شيء مطلقا، فمشروعه يتصل بالمحاكاة وهدفه وضع تمثيل جوهري للأفعال الإنسانية. وطريقته الخاصة هي حول الحق بواسطة الخيال والخرافة والتطهير". [2]

وقد سادت هذه الفكرة زمنا طويلا، حيث تناقلتها الثقافات فيما بينها، وليس أدل على ذلك إلا ما نجده في كتب النقد العربي القديم من تمييز بين الشعر والنثر وتعصب بعضهم إلى جنس بعينه.

غير أننا نجد من النقاد القدماء من تجاوز هذا التمييز وعدّ الإقناع سمة أي خطاب و أن" الحجاج يوجد حيث ما وُجِدَتْ اللغة"[3]. فالجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) لم يكن يفرق في استشهاداته بين الشعر و النثر إذ إنه" يستشهد على كل ما يذهب إليه بخطابات من أقوال العرب و يستوي عنده في ذلك جنسا النثر والشعر، إذ يتعامل مع كل جنس منهما بوصفه خطابا في هذا المضمار، بغض النظر عن التصنيف التقليدي أو الفوارق الدقيقة بينهما، مع احتفاظه لكل جنس بخصائصه التي تميزه على مستوى الشكل".[4]

يقول في معرض حديثه عمّا تتطلبه الخطابة من الجهر بالقول و رفع الصوت :

• الريطورية هنا بمعنى الخطابة La rhétorique وهو الخطابية التي تتخذ من وقد اقترح محمد العمري لها مصطلحا آخر ، الخطابة موضوعا لها مقابل الشعرية، محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص13 .

[1] أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق وتعليق: عبد الرحمان بدوي، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959، ص9 .

[2] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، د.ط، عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص157 .

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2004، ص452.

[4] م. ن، ص 448-449.

"وهذا القولُ وغيرهُ من **الأخبار والأشعار،حُجُةٌ** لمن زعم أن عمرو بن سعيد لم يسمَ الأشدق للفَقَم ولا للفوه."[5]كما نقل لنا أبو حيان التوحيدي في كتابه (الإمتاع و المؤانسة) عن ابن نباتة قوله :" من فَضْل النظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه، والحُججَ لا تِؤخذ إلا منه، أعني [أن] العلماءَ والحكماءَ و الفقهاء والنحويين واللغويين يقولون :« قال الشاعر» وهذا كثير في الشعر، و« الشعْر قد أتى به » ، فعلى هذا الشاعرُ هو صاحب الحجة والشعر هو الحجة"[6].

لذلك قد يلجأ المتحاجون إلى جنس بعينه (شعري أو نثري) وقد يلجأون إلى المزاوجة بينهما في خطاب واحد، وما دام الهدف واحدا هو الإقناع و حصول الفائدة فلا " يقتصر المرسل على المستوى النثريّ في حجاجه، بل يمكن أن ينتج المرسل خطابه الحجاجيّ شعرا، إذٍ يعدّ خطابا، إذا توفّرت فيه سمات الخطاب، مثل أي خطاب آخر. وقد يكون الخطاب كلّه شعرا خالصا، بوصفه سجالا بين طرفين كل منهما يحاجج الطرف الآخر شعرا، أو بوصفه حجاجاً من طرف واحد. كما يمكن أن يكون الشعر جزءًا من خطاب أعمّ بوصفه شاهد مثل المثل أو الحكمة أو قول أحد السلف"[7]

أخذ الحجاج مفهوما واسعا مع تطور الدراسات الحديثة، وأصبح سمة تتسم بها كل الخطابات اللسانية وغير اللسانية على حد سواء. حيث ربطه فيليب بريتون– Philippe Breton بالعملية التواصلية، النشاط الجوهري للإنسان، الذي يميزه عن الحيوان (غير الناطق)، أي منذ أن أصبح يمتلك هوية، وآراء، واعتقادات، وقيما، و وجهة نظر حول

---

[5] أبو عثمان، الجاحظ، البيان والتبيين، تقديم وتبويب وشرح: علي أبو ملحم، ط2، المجلد الأول، دار ومكتبة الهلال بيروت، 1992، ص122.

[6] أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه: أحمد أمين وأحمد زين، د.ط، ج1، مكتبة الحياة، بيروت، ص136 .

[7] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص506.

العالم الذي يعيش فيه ويحاول أن يتقاسمها مع غيره.[8] كما أضاف جون ميشال آدام- J.M.Adam – وظيفة أخرى إلى وظائف جاكبسون الست و هي الوظيفة الإقناعية. [9]

ومن أحسن النماذج تمثيلا للخطاب الحجاجي الشعري شعر النقائض، المبني أساسا – كما تدل عليه التسمية- على النَّقْض وهو" اسم البناء المَنْقُوضِ إذا هُدم. وفي صوم التَّطَوُّع: فناقضني وناقَضْتُه، هي مُفَاعَلَةٌ من نَقْض البناء وهو هدمه(...) وناقضه في الشيء مُناقضةً ونِقاضًا: خالفه(...) والمُناقضةُ في القول: أن يُتَكَلَّمَ بما يتناقَضُ معناه"[10] والنقيضة في الشعر هي " قصيدة يردّ بها شاعر على قصيدة لخصم له فينقضُ معانيها عليه يقلُبُ فخرَ خصمه هجاء، وينسب الفخر الصحيح إلى نفسه هو. وتكون النقيضة عادة من بحر قصيدة الخصم وعلى رويّها."[11] وقد تكون النقائض تطورًا لفني المفاخرة والمنافرة السائدين في العصرين الجاهلي والإسلامي المرتبطين بالشعر والخطابة معا، حيث أن المفاخرة هي تعداد الشاعر لمآثره أو مآثر قبيلته، في حين أن المنافرة إضافة إلى كونها افتخار شخصين كل واحد منهما على الآخر، يُحتكم فيها إلى شخص ثالث ليفصل بين الشاعرين. يشترط في النقائض شرطان:

" 1- أولهما: أن تتفق القصيدتان بحرا ورويا.

2- والثاني: أن يرد اللاحق على السابق معانيه وينقضها."[12]

---

[8] Voir : Philippe Breton , L′argumentation dans la communication , 3ème édition , la découverte , paris , 2003 , p 15.

[9] ينظر:عبد القادر بوزيده، " نموذج المقطع البرهاني (أو الحجاجي) "، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 12، ديسمبر، 1997، ص305.

[10] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، ط3، المجلّد السابع، دار صادر، بيروت، 1994 ص 242.

[11] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، ط4، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص361 .

[12] شاكر الفحام، الفرزدق، د.ط، دار الفكر، د ب، د ت ، ص278.

ويمكن اعتبار هذا الشعر خطابا حجاجيا لكونه مبنيا أساسا على عمليتي البناء والهدم إذ إن كلا من شعراء النقائض " يدرس موضوعه دراسة دقيقة ويبحث في أدلته ليوثقها وفي أدلة خصمه لينقضها دليلا دليلا "[13]حيث يتولى كل شاعر من هؤلاء الشعراء موقع المتكلم بالتناوب. لذلك تتحدد الحجج المضادة انطلاقا من الحجج المقدمة أولا، والنتيجة المعاكسة انطلاقا من النتائج الأولى، فيتموضع الخطاب الحجاجي مقابل خطاب مضاد " بهذا المعنى لا ينفصل الحجاج عن الجدل، لأن الدفاع عن أطروحة أو نتيجة، يقابله دفاع عن أطروحات أو نتائج أخرى؛ لأن الدخول في الجدل لا يعني عدم الاتفاق فقط، وإنما يعني أيضا أن المجادل يملك حججا مضادة."[14]

فالحجاج يأتي بمعنى البرهان، كما قد يأتي بمعنى الجدل ف " الحجة: البرهان؛ وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم؛ وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظَفَرُ عند الخصومة. وهو رجل محجاجٌ أي جدلٌ. والتَحاجُ: التخاصم...والحجةُ: الدليل."[15]

والجدل هو مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة هي المناظرة والمخاصمة وهو نوعان حسبما ورد في القرآن الكريم:

- ما هو إيجابي كقوله تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[16]
- ما هو سلبي: كقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يُجَادِلُونَ في اللَهِ ﴾[17]

---

[13] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي، ط14، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص242.

[14] محمد طروس، النظرية الحجاجية، من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء 2005، ص108 .

[15] ابن منظور، لسان العرب، د ط، المجلّد الثاني، 1968، ص228.

[16] سورة النحل، الآية 125.

[17] سورة الرعد، الآية 13.

" وقيل الأصل في الجدال هو الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة."[18] ثم أصبحت صناعة يقصدها الكثيرون لذاتها حيث برر محمد حسين فضل الله في كتابه (الحوار في القرآن) عنونة كتابه بالحوار بدل الجدل من " أن « الجدل » تحوّل إلى صناعة قد يقصدها الكثيرون لذاتها، من أجل التدرب على الأخذ والرد والهجوم والدفاع في مجالات الصراع الفكري...ليعطل قوة خصمه، لا ليوصله إلى الحقيقة أو ليصل إلى قناعة."[19]

وهنا يكمن الفرق الجوهري بين الحجاج والبرهان أو الاستنباط " اللذين يقدمان في نسق معطى بكونهما غير قابلين للدحض "[20] فاستنتاجات الحجاج تشتمل على معرفة قبلية أي أنها غير متضمنة في المقدمات، بعكس البرهان الذي نستطيع القول إنه إعادة للمقدمتين، أي أن النتيجة متضمنة في إحداهما (الكبرى والصغرى). ويمكن التمثيل لهما بالمثالين التاليين:

استدلال برهاني

كل اللغويين علماء (مقدمة كبرى) إذن

زيد لغوي (مقدمة صغرى)

← زيد عالم

---

[18] محمد علي نوح قوجيل، أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن، ط2، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس 2001، ص41 .

[19] محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، قواعده، أساليبه، معطياته، د.ط، ج1، دار المنصوري، قسنطينة، د.ت ص18.

[20] محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص108.

إذن

استدلال حجاجي | انخفض ميزان الحرارة ⟵ سينزل المطر

فالنتيجة في الاستدلال الأول حتمية وضرورية لأسباب منطقية وهي أنها محتواة في إحدى المقدمتين، أما الاستدلال الثاني فالنتيجة فيه احتمالية ونسبية، فانخفاض ميزان الحرارة شرط كاف لنزول المطر وليس شرطا ضروريا، كما أن النتيجة تعتمد على المعلومات الواردة في المقدمة بالإضافة إلى معرفة العالم.[21]

النقائض ومنهج المناظرة.

نفترض أن خطاب النقائض خطاب حجاجي، ونسلِّم معه أن منهجه المناظرة لا لارتباط المناظرة بالحجاج، لكن لكونها " تقوم أساسا على صناعة الحجة، فالحجة هي العنصر المنتج لخطاب المناظرة، من خلال انتاجها المتتالي في النص والقيام بتنويعها من موقف إلى آخر، ومراوغة الآخر بتقديمها المتعدد والمختلف."[22]

لكن قبل التسليم بذلك نودّ أن نعرِّف المناظرة تعريفا لغويا واصطلاحيا، فمعناها اللغوي كما جاء في لسان العرب "أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف

---

[21] ينظر: أبو بكر العزاوي، من المنطق إلى الحوار. WWW.Fikrwanakd.aljabriabed.net

[22] عبد الله العشي، زحام الخطابات، مدخل تصنيفي لأشكال الخطابات الواصفة، د.ط، دار الأمل، تيزي وزو، 2005 ص41 .

تأتيانه...والتناظر: التراوض في الأمر. ونظيرك الذي يراوضك وتناظره...وناظره من المناظرة...ناظرت فلانا أي صرت نظيرا له في المخاطبة"[23]

إذا كان هذا التعريف يركّز على جانب التقابل والتبادل الخطابي بين المتخاطبين فإن التعريف الذي ورد في المعجم الوسيط يفوقه درجة حيث يأخذ ،إلى جانب ذلك المحاجة والمجادلة كعنصرين أساسين في المناظرة يقول إبراهيم أنيس وزملاؤه: "(ناظر) فلانا: صار نظيرا له وباحثه وباراه في المحاجة، (تناظر) القوم: نظر بعضهم إلى بعض وتناظر القوم في الأمر: تجادلوا وتراوضوا...(المُناظِرُ): المجادل المحاجّ".[24]

ونجد التعريف الاصطلاحي للمناظرة غير بعيد عن هذا المعنى اللغوي وإن كانت بعض التعاريف مختلفة فيما بينها، فالمناظرة التي تدل صيغتها الصرفية على (المفاعلة) ينظر إليها من عدة زوايا، مع أن مصدر الاستقراء واحد وهو التراث العربي الإسلامي فهنالك من يرى أنها شكل أو وعاء لموضوع يقع جدال أو خلاف حوله. ومن يرى أنها نوع من المحاضرة يشترك فيها اثنان أو أكثر، أو هي نوع من الأنواع الأدبية الأخرى وآخرون يعتبرونها منهجا حجاجيا تارة وعلما تارة أخرى.

ومن القائلين بالرأي الأول الباحث " جبور عبد النور" في معجمه الأدبي، وهو التعريف الذي نراه الأقرب إلى تعريف النقيضة، فالمناظرة عنده " نوع من المحاضرة يشترك فيها اثنان أو أكثر، ويتخذ كل موقفا معينا يدافع عنه بالأدلة والبراهين ويحاول قدر استطاعته ومهارته، أمرين واضحين: تأييد رأيه وتخطئة رأي الفريق الآخر."[25]

أما الباحث حسين الصديق فيشير في كتابه " المناظرة في الأدب العربي– الإسلامي " إلى أن المناظرة كشكل من أشكال الخطاب الاحتجاجي كانت سمة النقد العربي القديم

---

[23] ابن منظور، لسان العرب، ط1، المجلّد الخامس، د ت، ص 217– 219.

[24] إبراهيم أنيس وزملاؤه، المعجم الوسيط، ط2، ج2، دار المعارف، مصر، 1973، ص932.

[25] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص 266–267 .

منذ العصر الجاهلي، وكتب النقد نقلت إلينا العديد من هذه المناظرات كاحتكام امرئ القيس وعلقمة إلى أم جندب في أيهما أشعر في وصف الخيل، واحتكام حسان بن ثابت والخنساء عند النابغة الذبياني في أيهما أشعر ... الخ، فكلها وجوه من أوجه المناظرة في هذه العصور الأولى لتاريخ الأدب العربي. لكنها كنوع أدبي لها قوانينها وآدابها " حيث تتخذ مكانتها بين أنواع أدبية أخرى في كتب الأدب العامة، وهي حينئذ شكل من أشكال التفكير وهي خطاب اجتماعي يعكس الواقع الاجتماعي – الثقافي للعصر" [26]ظهر مع ظهور (علم الكلام) فارتبط به. لذلك فرق بين المناظرة والشعر، حيث يرى أن الشعر يقوم على العاطفة وعلى الانفعال الداخلي " في حين أن المناظرة، على العكس من الشعر تقوم أساسا على العقل المتمثل في القدرة على الاستنتاج، والمحاكمة المنطقية، وربط النتائج بالمقدمات، وعلى الفهم العام والسريع للمعطيات التي يعرضها الخصم"[27]

أما من ناحية الأسلوب ف " المناظرة هي حديث يدور بين اثنين يعتمد فيه على قوة الحجة والإقناع، وليس على جمال الأسلوب وقوة اللغة كما الحال في الأنواع الشعرية."[28] أما القائل بالمناظرة منهجا تارة وعلما تارة أخرى فهو الباحث طه عبد الرحمان، الذي يرى أن التراث العربي الإسلامي بجميع مجالاته طبق عليه منهج المناظرة حيث " ظهرت صنوف من الخطابات تقر بالمناظرة منهجا فكريا مثل « خطاب التهافت» و « خطاب الرد » و « خطاب النقائض » وما إليها؛ بل حيثما وجدت مذاهب ومدارس واتجاهات في مجالات المعرفة الاسلامية، كانت المناظرة طريقة التعامل بينها وهذا شأن الفقه (باب الخلاف) والنحو (باب القياس) والأدب (النقائض)."[29] لذلك

---

[26] حسِّين الصديق، المناظرة في الأدب العربي– الإسلامي، ط1، الشركة المصرية العالمية، لوجمان، مصر، 2000 ص64 .

[27] م. ن، ص58.

[28] حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي– لإسلامي، ص85.

[29] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، 2000، ص69

وضع لها شروطا وأخلاقيات يتقيد بها المتناظرون وفقا لمبدأ التعاون الذي وضعه غرايس وهي:

أ- لا بد لها من جانبين.

ب- لا بد لها من دعوى.

ج- لا بد لها من مآل يكون بعجز أحد الطرفين.

د- لكل من الجانبين آداب ووظائف.

أما أخلاقياتها فهي كالتالي:

أ- أن يتقارب المتناظران مكانة ومعرفة.

ب- أن يتداول المتناظران الحوار وأن يمهل أحدهما الآخر حتى يستوفي مسألته و يفهم عليه قوله.

ج- أن يتبع المتناظران قوانين التهذيب بعدم إساءة أحدهما للآخر بالقول أو الفعل.

د- أن يتعاونا على إظهار الحق والإعتراف به.

و- أن يتجنب المناظر محاورة من ليس مذهبه إلا المضادة.[30]

أما كونها علما فقد صنفها ضمن علوم إسلامية مختلفة منها: علم الأصول، علم الكلام، وعلم الصرف، وعلم اللغة.[31]

---

[30] ينظر: طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص74.

[31] ينظر: طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005 ص241 .

في ظل هذه التعاريف والشروط، نجد السيّد أحمد الهاشمي يضع للمناظرة ثلاثة شروط وهي: "(الأول) : أن يُجمَع بين خصمين متضادّين، أو مُتباينين في صفاتهما بحيث تظهر خواصُّها كالرَّبيع، والخريف، والصيف، والشتاء. (والثاني) : أن يأتي كلٌّ من الخَصمين في نصرتِه لنفسهِ، وتفنيد مزاعم قِرنه، بأدِّلة من شأنها أن تَرفَع قدْره، وتحُطّ من مقام الخصم، بحيث يميل بالسّامع عنه إليه. (والثالث) : أن تُصاغ المعاني والمرَاجعات صوغاً حسناً. وتُرتَّب على سياق مُحكم ليزيد بذلك نشاط السَّامع، وتنمي فيه الرّغبة في حلّ المشكل."[32]

المناظرة كمنهج تداولي لتحليل الخطاب "عند طه عبد الرحمان ".

أدرك الباحثون اللسانيون الدور الفعال الذي يلعبه المتكلم والمخاطب في العملية التخاطبية، رغم اهتمامهم الشديد والأول بدراسة اللغة في ذاتها ولذاتها. وأدركوا أيضا أن اللغة كمؤسسة اجتماعية لا وجود لها خارج الكلام الذي يتحقق بالإنجاز الفردي له. وربما تركيز سوسير نفسه على دورة التخاطب في دروسه اللسانية لدليل على اعتماده النظرية التواصلية في التخاطب، كإدراكه أن العلامات اللسانية ليست الوحيدة التي يستعملها الإنسان في هذه العملية.

ويرى أصحاب فلسفة اللغة، من جهتهم، ضرورة الاهتمام باللغة العادية المستعملة من قبل أشخاص عاديين في سياقات ومواقف يومية مختلفة، حيث يؤكد فيثغنشتاين على ضرورة مراعاة نوع معين من استخدام اللغة عندما يرتبط بعضنا ببعض حيث " لا وجود كذلك للغة خاصة بالفرد: « لغة خاصة » تترجم فيما بعد إلى لغة عموم، لأن اللغة تركيبيا عمومية. فالمتكلم يعني اتباع قواعد، ولا يمكن لاتباع قاعدة أن يتم إلا كنشاط

[32] السّيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيّات وإنشاء لغة العرب، تحقيق وتصحيح لجنة من الجامعيين، د.ط، ج1 مؤسسة المعارف، بيروت، د ت، ص224.

عمومي، مراقب من خلال ممارسة التواصل."[33] وذهب إلى أن المعنى ليس ثابتا وإنما هو متعدد، فمعاني الكلمة أو الجملة تتعدد بتعدد سياقات استخدامها.

وقد أدى هذا الإهتمام باللغة العادية إلى ظهور الدراسات التداولية الحديثة، التي تجاوزت بمقارباتها الدراسات اللسانية البنوية، حيث " تعد التداولية استطالة لسانية أخرى للسانيات التلفظ التي أنشأها بنفنيست، إذ إن التمييز الكبير لا يتم أبدا بين اللغة والكلام ولكن بين الملفوظ، الذي يقصد به ما يقال، والتلفظ، كفعل القول."[34] فلم يعد يُنظر إلى الكلام كمكون صوتي أو تركيبي أو دلالي، وإنما كفعل Acte أو حدث Action يسعى من خلاله المتكلم إلى تغيير العالم المحيط به، فوظيفة اللغة عند أوستين " ليست مجرد إيصال المعلومات أو وصف العالم أو التعبير عن الفكر(...) وإنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية."[35]

كان البحث عن طريق لحل الأزمة العربية سواء في مجال الإصطلاح، أو في مجال التنظير لاستقراء النصوص العربية، التراثية منها والحديثة، من الأسباب التي قوّت عزيمة بعض باحثينا في استحداث بعض الآليات والتقنيات في مقاربة هذه النصوص معتمدين في ذلك على التراث العربي الإسلامي، من جهة، وما توصلت إليه الدراسات التداولية الغربية الحديثة، من جهة أخرى، والباحث "طه عبد الرحمان" من هؤلاء الذين يحاولون إحياء مجد هذا التراث العربي القديم بما استحدثه من مصطلحات جديدة ودقيقة من حيث دلالتها على مقابلاتها في اللغات الأجنبية، واستحداث مناهج جديدة أخرى كمنهج المناظرة الذي كان يتسم به التراث العربي. والشيء الملاحظ في أبحاثه أنه لا يضع قانونا أو قاعدة إلا بناء على نقائص سابقيه من الباحثين، أو ما هو متداول في الثقافات الأخرى.

---

[33] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، د. ط، مركز الاهاء القومي، د.ت، ص22.

[34] م. ن، ص9 .

[35] مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، أطروحة دكتوراه، إشراف: عبد الله العشّي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2003 – 2004 ، ص69 (312 ورقة).

انطلق هذا الباحث في بناء نظريته حول الخطاب من مسلمة أن الإنسان حيوان عاقل، وتميزه بهذه الميزة جعلت من كل الأفعال التي يؤديها أفعالا مقصودة، يحاول من خلالها التواصل مع الغير إذ لا تواصل إلا بين شخصين. إضافة إلى ذلك فإن التواصل الإنساني ليس عملا عفويا، بل هو عمل مقصود يتمثل هدفه في تغيير ذهنية الغير والتأثير فيه أو تغيير ذهنية الذات بسبب تأثير الغير عليها، ويكون ذلك باتباع طرق استدلالية مقنعة.

ويرى هذا المفكر أن من العلوم المنقولة عن اليونان والتي تم تقريبها من المجال التداولي العربي الإسلامي:

- علم المنطق: وهو علم يقيني خاص بالنظر في العلوم النظرية المجردة، وموضوعه هو طرق الاستدلال.

- علم الأخلاق: وهو علم ظنّي خاص بالنظر في العلوم العلمية، وموضوعه طرق السلوك.[36]

ومن خصائص هذا التقريب التداولي أنه يقوم بتكييف ما هو منقول بما هو موصول فيصبح القول المنقول بتفاعله مع الموصول مأصولا. لذلك يرى أن التقريب الإسلامي للمنطق- الذي تحول عن مفهومه السابق- تتفاعل فيه الغايتان النظرية والعملية، حيث لا تقتصر فائدته على تمييز الصادق من الكاذب في الأقوال، وإنما تكمن فائدته أيضا في تسديد السلوك وتحصيل الاستقامة فيه، بتمييز الخير عن الشر في الأفعال لاجتلاب نفع ودفع ضرر" فأصبح غرض المنطق هو في الوقت ذاته تقويم العقل وتقويم الفعل لطلب السعادة الأبدية."[37]

---

[36] ينظر: طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص238.

[37] الساوي، البصائر النصيرية في علم المنطق، د.ط، مطبعة الصاوي، القاهرة، مصر، ص 4 -5 ، نقلا عن: طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص239 .

من هذين المنطلقين وضع نظرية في الخطاب بالاعتماد على هذين العلمين المنقولين المأصولين، فالعلاقة التخاطبية لا تتبني بطريقة بسيطة على مقتضى وجود أي حوار أو كلام بين شخصين، بل هي عملية مركبة تستدعي وجود شروط ضرورية وأساسية في الكلام، من جهة، حتى يوصف بالخطاب، وفي المتخاطبين، من جهة أخرى، بوصفهم بشرا تجمعهم صفة الإنسانية والعقلانية. إذ يرتبط الجانب الأول بالمستوى التواصلي من العلاقة التخاطبية، أما المستوى الثاني فيرتبط بالمستوى التعاملي من هذه العلاقة.

أما الشرط الأول فلا يوصف الكلام بالخطاب إلا إذا ارتبط بمقصدين اثنين يمكنهما أن يحددا حقيقة المتكلم والمخاطَب.

أحدهما : هو التوجه إلى الغير، فما لم تحصل من الناطق إرادة توجيه منطوقه إلى الغير لن يعد ما ينطق به كلاما حقا حتى ولو صادف هذا الكلام متلقفا آخر غير الذي قصده المتكلم،" فالمتلقي هو عبارة عن المتلقف الذي قَصَدَه المُلقِي بفعل إلقائه".[38]

والآخر: هو إفهام هذا الغير، فما لم تحصل من الناطق إرادة إفهام هذا الغير لن يعد ما نطق به كلاما حقا، حتى ولو صادف هذا الكلام فهما ممن التقطه " فالفاهم هو عبارة عن المتلقط الذي قَصَدَه المُفهِم بفعل إفهامه."[39] حيث يصبح حد الخطاب في هذه الحالة " كل منطوق به مُوَجَّهٍ إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا."[40] بحيث لا يقصد بهذا المنطوق ما هو شفهي فقط بل كل ما أمكن التلفظ به، فالمكتوب كلام كان من الممكن أن يُتلفظ به مشافهة.

وترتبط العملية التواصلية عند " طه عبد الرحمان " بالجانب العقلاني من الإنسان بسبب ارتباط العقل بالمعاني المجردة. ولأن " العقل هو «القدرة على انتزاع المعاني

---

[38] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998، ص214

[39] م. ن، ص214.

[40] م . ن، ص 215.

الكلية من الموجودات المشخصة»."[41] ويشير إلى أن هذه المعاني لا يمكنها أن ترتبط بالخطاب لكون الكلام أحوالا مشخصة يرتبط من خلالها الخطاب بالمقامات المختلفة فكلما اقتربنا من مجال الخطاب ابتعدنا عن العقلانية. وطلب المعاني المشخصة يبعدنا عن طلب المعاني المجردة.

يقوم العقل في هذه الحالة بعمليتين تواصليتين:

- عملية تبليغ المعنى الظاهري للقول، المستقل عن المقام.

- عملية تبليغ المعنى الظاهري والضمني للقول، المرتبطين بالمقام.

حيث إن "التبليغ هو عبارة عن نقل فائدة القول الطبيعي نقلا يزدوج فيه الإظهار والإضمار."[42]

أما الشرط الثاني فهو ما يتعلق بالخاصية التعاملية لدى الإنسان، وهي الخاصية الأخلاقية والتأدبية. حيث لا يكفي العقل وحده في هذا المستوى، لأنها أمور غير متعلقة بالمستوى المجرد من الإنسان بل بمستواه التعاملي. لذلك ربط هذا الجانب ب(فعل القول)، وهو أولى مراتب العمل الضرورية لحصول التخاطب والانتفاع بفائدة القول.

أما الخاصية التأدبية فتكون بإتيان المتكلم لفعل القول " الذي يُبْرِز به دلالته القريبة ويقوي أسباب الانتفاع العاجل به "[43] لنفسه ولمخاطبه، على أساس تبادل المنفعة بينهما "ومعلوم أن كل تبادل بين طرفين يكون مبناه أساسا على سعي كل منهما إلى

[41] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص218.

[42] م . ن، ص 216.

[43] م. ن، ص223.

تحقيق أغراض تكون مشتركة أو متساوية بينهما وإلى طلب الأعواض عن أعماله التي لا يأتي الطرف الآخر بمثلها."[44]

أما مبدأ التخلق: فيكون بإتيان المتكلم بفعل القول "على الوجه الذي يُبْرِز به دلالته البعيدة، فضلا عن اعتبار دلالته القريبة ويقوي أسباب الانتفاع الآجل به."[45] يجمع هذا المبدأ جانبي المنفعة (القريبة والبعيدة)، لذلك يعلو الأول مرتبة، فإذا كان الأول تقتصر وظيفته على تبادل المعلومات فإن الثاني مكمن التفاعل بين المتخاطبين وإضافته إلى المستوى الأول هو ما يحقق نجاح العلاقة التخاطبية.

تتميز الذات المتكلمة وتتكاثر وتتدرج وظائفها، في ظل هذه الشروط، بين العلاقتين التواصلية والتعاملية. فأول وظيفة تقوم بها هي نقل المعنى الظاهري للقول ولا تختلف في هذه الحالة عن أية آلة أخرى تكون وظيفتها نقل المعلومات. وحين يرتبط نقل القول بالدلالة أي بمعنى المعنى فإن الذات المتكلمة في هذه الحالة ترتقي إلى ذات مبلِّغة للمعنى الظاهري والضمني للقول. هذا ما يتعلق بالجانب المرتبط بالعلاقة التواصلية أما ما يتعلق بالعلاقة التعاملية فإن الذات ترتقي في هذه الحالة إلى مرتبة الفاعل المتأدب وتسعى من خلال ذاك إلى إبراز دلالة القول القريبة من أجل الانتفاع به في آجله وعاجله معا، وهي أسمى ما يمكن أن تصل إليه الذات الإنسانية.

وينطبق ما ذهب إليه "طه عبد الرحمان" على مستوى التنظير، أو هذا ما تصبو إليه الخاصية الإنسانية للإنسان، لكن هل هذا ما يحدث دائما على مستوى التطبيق؟ أم أن التنظير شيء والواقع شيء آخر؟ هل تحتكم كل النصوص والعلاقات إلى هذه الشروط؟ هل يؤدي الإخلال بشرط من هذه الشروط إلى انقطاع العملية التخاطبية أم أن هنالك بعض العلاقات التخاطبية التي تخرج عن دائرة هذه النظرية؟ ولماذا؟ هذا ما سنحاول

[44] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص223.
[45] م. ن، ص. ن.

معرفته من خلال الفصل الأول متبنين في ذلك آراء "طه عبد الرحمان" السابقة لنرى إلى أي حد يمكن أن يسحب منهج المناظرة على الخطاب الشعري و خطاب " النقائض " منه بخاصة.

الفـــصـــل الأول

العلاقة التخاطبية في النقائض:

- الوضعية التخاطبية ونوعية المخاطب.
- استراتيجية البناء.
- استراتيجية الهدم.

تقديم:

يحتوي هذا الفصل على دراسة ظاهرة التواصل التي تشكل محور أية علاقة حوارية بين ذاتين أو أكثر، وذلك بالاعتماد على أسس الاتجاه التداولي المتشكل في أساسه من ثلاثة اتجاهات، كما يرى ذلك "فرنسيس جاك"، وتتلخص هذه الاتجاهات في ثلاث نظريات تشكل الأساس المعرفي لهذا العلم وهي:

- نظرية الأفعال الكلامية.
- نظرية التلفظ.
- نظرية استراتيجيات الخطاب.[46]

وسنحاول من خلال هذه النظريات استخراج قوى الأفعال المنجزة من قبل المتخاطبين وفقا للسياق التخاطبي، وذلك من خلال نقيضتي جرير والفرزدق باعتبار الشعر يبنى على الأغراض والمقاصد، وباعتبار ذلك فإن كل مقصد يستدعي أساليب لغوية خاصة أو استراتيجية خطابية محددة.

1-الوضعية التخاطبية ونوعية المخاطب.

يستند الفعل المناظري بين الشاعرين إلى سياقات وأوضاع حقيقية، لذلك لا يمكننا تأويل أي قول من هذه الأقوال بالحياد عنها، فتبليغ معنى الكلام على مستوى العلاقة التواصلية مرتبط بدلالة الخطاب لا بدلالة الجملة، الذي هو محور الدراسات التداولية. لأن

---

[46]ينظر: مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص54.

التبليغ هو نقل يزدوج فيه الإظهار والإضمار معا – كما أسلفنا القول – وهذا يُلزمنا بتتبع السياقات الخارج نصية التي ساعدت على إنتاج هذه الخطابات.

لكن العملية التأويلية في نفس الوقت لا يمكنها أن تنطلق من العدم، بل على المؤوِّل أن ينطلق من المنظومة اللغوية المبنية بطريقة منطقية تبعا للبنية النحوية. حيث تمنح هذه المنظومة المؤوِّل بعض القرائن التي هي بمثابة مقدمات تساعده على اختيار بعض مفاهيمه الذهنية أو ترشيح بعض مما هو مخزون في محيطه المعرفي ستساعده في المرحلة التالية من التأويل. بمعنى أنه يستطيع حصر الظروف الخارجية المحيطة بالنص من هوية المتخاطبين والظروف الزمانية والمكانية المحيطة بهما، وإن كان ذلك بشكل نسبي.

وقد اهتم بنفنيست في إطار البحث اللساني بالملفوظية كعملية ذاتية تقابل الكلام أو الاستعمال الفردي للسان. وتُعرَّف بأنها جملة من العوامل والأفعال التي تتسبب في إنتاج الملفوظ، بما في ذلك التواصل الذي يشكل حالة خاصة من حالات الملفوظية. فتتحول الجملة التصريحية إثر هذه العملية إلى ملفوظ، أي إلى تضمين معنى آخر غير مصرح به.

يفترض التواصل كحالة من حالات الملفوظية وجود متحدث Locuteur ومخاطب Allocutaire وزمن التحدث ومكانه وهو ما يسمى بمرجعيات الملفوظية أو كما يسميها فان ديك VAN DIK "المركز الإشاري". فالكلمات " أنا، أنت، هنا، الآن عبارة عن كلمات تشير، من داخل الملفوظ، إلى تلك العناصر الأساسية المكونة للملفوظية وهذه العناصر هي: المتحدث، والمخاطب، ومكان وزمان الملفوظية."[47]

---

[47] جان سيرفوني، الملفوظية، ترجمة: قاسم المقداد، د.ط، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص27.

ويرى ميشال ريفاتير MICHEL RIFATERRE من جهته، في دراسته للشعر أنه على محلل الخطاب أن ينطلق في تحليله من النص، "حيث يبدأ حل شفرة القصيدة بالقراءة الأولى من بداية النص إلى نهايته ومن أعلى الصفحة إلى أسفلها متبعا في ذلك المسيرة السياقية. ففي هذه القراءة الاستكشافية الأولى يتم تفسير أولي، لأن المعنى يتم فهمه من هذه القراءة "[48] وهو ما يعني الاهتمام بالنص كواصل بين المتكلم والمخاطب .

يتجسد النص في تشكلاته اللغوية وفي مستوياته (الصوتية والتركيبية والدلالية) باللغة، ومن طبيعة اللغة أنها مجموعة من الدوال ذات مدلولات معينة تحيل على أشياء في العالم الخارجي، وأول ما تحيل عليه من خلال هذين الخطابين – ومن خلال أي خطاب– هوية المتكلم والمخاطَب. حيث نسجل حضورهما الضمني والصريح فيهما، بل حضورهما في كل خطاب. حيث تتجلى صورة المتكلم في مقابلتها بصورة المخاطَب وتتجلى على إثر ذلك العلاقة الحوارية بينهما.

الحضور اللغوي للمتخاطبين في الخطاب الأول.

هوية المتكلم.

ترتبط الأقوال ارتباطا وثيقا بقائليها في الخطاب الشفهي كما في الخطاب الكتابي، بل قد يكون هذا الارتباط في الخطاب الشفهي أكثر منه في الخطاب الكتابي، لارتباط الأول ببعض المرجعيات التي تحيل إليها في العالم الواقعي في لحظة التلفظ. من هذه المرجعيات الإشاريات Déictiques * أو المبهمات. فبين الضمير أنا والمتحدث – على سبيل المثال – في لحظة التلفظ بالخطاب علاقة حقيقية، والضمير أنت لا يدل إلا على المخاطَب

---

[48] ميشال أرفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، ترجمة رشيد بن مالك، مراجعة وتقديم عز الدين المناصرة منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002، ص 55 .

* استعملنا مصطلح Déictique بدلا من مصطلح Embrayeur تبعا لترجمة قاسم المقداد لها في كتابه الملفوظية.

المقصود بالخطاب " ف (أنا) له دلالة عامة وحيدة وثابتة تكمن في أنها تدل على موجه الرسالة، ومتلقيها (أنت) ... لذا من الخطأ اعتبارهما بمثابة أشكال فارغة تستقبل دلالة مختلفة لدى استخدام إحداها."[49]

والضمير هو اسم جامد يدل على متكلم أو مخاطَب، اوغائب، مثل الضمير أنا، التاء الياء، ونحن، ونا (للمتكلم)، وأنتَ، وأنتِ، وأنتما، وأنتن والكاف(للمخاطَب). وهي وهو وهما، وهم، وهن، والهاء(للغائب)[50]. وهو قسمان: بارز ومستتر.

"فالبارز: هو الذي له صورة ظاهرة في التركيب، نطقا وكتابة نحو رأيتك في الحديقة: فكل من كلمة: أنا، والتاء، والكاف – ضمير بارز. والمستتر: ما يكون خفيا غير ظاهر في النطق والكتابة، مثل ساعد غيرك يساعدك. فالفاعل لكل من الفعلين ضمير مستتر تقديره في الأول: أنت وفي الثاني « هو»."[51]

للمتكلم ضميران يمكن أن يشير بهما إلى نفسه " أنا للمتكلم وحده ونحن للمتكلم المعظم نفسه، أو معه غيره."[52] فالفرزدق أشار من خلال الضمائر' أنا'، و' التاء' إلى نفسه وهي ضمائر منسوبة إلى المفرد المتكلم حيث أن "ممارسة التلفّظ هي التي تدلّ على المرسل في بنية الخطاب العميقة، ما يجعل حضور (الأنا) يرد في كل خطاب"[53] حيث يقول:

---

[49] جان سيرفوني، الملفوظية، ص28 .

[50] ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، ط6، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1979، ص 217.

[51] م. ن، ص 219– 220.

[52] م.ن، ص226.

[53] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 82.

وأنا ابـــنُ حنظلةَ الأغـــرُّ، وإنّــــني   فــــي آل ضـــبة، لَلْمُعَمُّ المُخْـــوَلُ[54]

و يقول أيضا:

وإذا دَعــــوْتُ بـــني فُقَـــيْمٍ جاءنـــي   مَجْرٌ، لَــــهُ الـــعَدَدُ الّذي لا يُعْـــدَلُ[55]

إذا كان الضمير (أنا) هو الأصل في الوضع اللغوي، فإن الضميرين (نحن، نا) هما فرعان منه، ويمكن للمتكلم استعمالهما حين يريد التضامن مع الآخر(أنت)، أو مع الغير (هو غير المخاطَب)، فالفرزدق حين استعمل الضمير (نا) في قوله:

حُلَـــلُ الملوكِ لبـــاسُـنَا في أهـــلنا   والسّابغاتِ إلى الوغى نتسرْبَـــلُ

أحلامُنــــا تَـــزِنُ الجـــبالَ رزانـــةً   وتخالنا جِنًـــا، إذا مـــا نجهـــلُ [56]

لم يقصد به التضامن مع جرير، بل أشار من خلاله إلى أسرته وقبيلته التي ينتسب إليهما وقد عبّر عن ذلك بصيغ صريحة، حيث إن البطاقة الدلالية للمتكلم لم تتوقف عند حد التعيين الإشاري، بل هي تمتلىء قولا إثر قول. فبعد أن أشار الفرزدق إلى نفسه بضمير المتكلم المفرد (أنا) والجمع (نحن)، المعبّر عنه بالضمير المتصل، أضاف عدة تحديدات تقرّب هويته من المتلقي، لأن الضمير (أنا) أو (نحن) من الناحية الدلالية فارغان أو صيغ فارغة formes vide تشير في العالم الواقعي إلى كل متلفظ، وليس لها وجود حقيقي إلا في الخطاب[57]. ومن هذه التحديدات ما يلي:

---

[54] همّام بن غالب، الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ضبط وشرح: إيليا الحاوي، ط2، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1983، ص 321.

[55] م . ن ، ص 320 .

[56] الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 321 .

[57] Voir : Emile Benveniste, Problème de linguistique générale, 1 édition Gallimard, 1966, p251-257

– انتسابه إلى مجاشع ونهشل بن دارم، وهم من سادة بني تميم في الجاهلية، وهما أيضا من أجداده وذلك في قوله:

بَيْــتًــا زُرَارَةُ مُحْتَــبٍ بِــفِنَائِــه،   وَمُجَاشِــعٌ وأَبُــو الفَــوَارِسِ نَهْشَلُ[58]

–ثم إلى قبيلة دارم، حيث تنتسب قبيلته مجاشع (مجاشع بن دارم)، وذلك في مثل قوله:

أيــن الّــذين بهــم تُسامي دارمًا؟   أم مــن إلــى سلفَــيْ طهيَّة تَجْعلُ؟[59]

– ثم إنتسابه إلى حنظلة (وهو حنظلة بن مالك بن زيد)– من جهة – وإلى آل

ضبة أخواله – من جهة أخرى – فهو بهذا ينتسب إلى: مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد، وإلى آل ضبة من مجاشع وذلك في مثل قوله:

وأنا ابــنُ حنظلةَ الأغــرُّ، وإنّني   فــي آل ضَــبَّةَ لَلْمُعَــمُّ المُخْــوَلُ[60]

حيث أن ذكر هذه الأنساب بالعلامة الخاصة (وهي ذكر الإسم)، لها بعد دلالي وتداولي في ظل السياق الذي وردت فيه. فلا يتعلق اسم العلم بالأشخاص فقط، بل يمكن أن يطلق على أشياء خاصة، لها صلة بحياة الناس وأعمالهم، كأسماء البلاد والقبائل ...الخ، حيث خصص هذا الإسم لفرد خاص ليدل عليه ولا يشركه فيه غيره مثل: تميم، طي، دارم نهشل...الخ.

---

[58] الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص318 .

[59] م. ن، ص319 .

[60] الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 321 .

هوية المخاطَب.

لإكمال دائرة العملية التخاطبية لابد من وجود طرف ثان مرسل إليه يتلقى هذا الخطاب وهو المخاطَب، سواء أكان فردا أم جماعة، له حضور عيني أو ذهني، لأنه يمارس بطريقة غير مباشرة في توجيه المرسل عند اختياره لأدواته اللغوية وصياغة خطابه.

فإذا كان المتكلم بمثابة ذات متلفظة قائمة بفعل التلفظ، فإنه بمجرد أن ينطق بكلامه يعلن عن نفسه كفاعل يتحدد في تموضعه مع المخاطَب، لذلك فإن هوية المخاطَب تتحدد من خلال المتكلم والخطاب معا. فكل خطاب يفترض متلقيا سواء أكان كائنا فيزيائيا (حقيقيا)، أو شخصا متخيلا.

يوجد في الخطاب الأول أكثر من أداة لغوية حاول من خلالها المتكلم أن يحدد بها هوية المخاطَب. أهمها الإشاريات الشخصية منها(كاف) الخطاب ذات الحضور القوي في الخطاب كمثل قول الفرزدق:

ضربَتْ عَليكَ العَــنْكَبوتُ بنَسْــجِهَا، وَقَــضَى علَيكَ بـــهِ الكِتابُ المُنْزَلُ[61]

وزَعمْتَ أنَّكَ قد رَضيتَ بما بَنَـــى فاصْبِرْ فما لَكَ، عَنْ أبيك، محَوَّلُ[62]

كما تدل عليه الضمائر المستترة، حيث تعد " في النحو العربي ضربا من الإشاريّات التي تدرك الإحالة عليها من السياق."[63] ففعل الأمر – على سبيل المثال – يستوجب وجود المتكلم و المخاطَب في لحظة التلفظ به وهو أيضا " ينطوي على (أنت)، الذي يوجّه إليه

[61] الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 318 .

[62] م. ن، ص325

[63] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 83 .

الخطاب"[64]. فمن صيغ الأمر الواردة في هذا الخطاب الصيغ التالية: فادفع، فاصبر فاستمع، فاسأل.

إذا كانت الإشاريات تؤدي دور العلامات العامة، فإن تعيين المخاطَب يخرج هذه العلامة من عموميتها إلى علامة خاصة، وهي العلامة التي تحيل على فرد واحد من أفراد العلامة العامة، فضمير المخاطَب أنت، غير المحدد بشخص معين كقولنا إنسان يتحدد في هذا الخطاب باسم العلم وهو جرير حيث يقول الفرزدق:

إنَّ اسْتِراقَكَ يا جــرِيرُ قصائــدي، مِثْــلُ ادِّعاءِ سِــوى أبيك تَنَقُّــلُ[65]

فهنا يتحدد "قصد التوجه" الذي أشار إليه " طه عبد الرحمان ". ومن جهته أيضا أشار " فيليب بريتون " إلى أنه في الحجاج لا بد أن يكون المتلقي محددا ومخصوصا وليس عالميا أو كونيا، فالفيلسوف هو الذي يتعامل مع المتلقي الكوني، لأنه يدرس أطروحات لا قضايا[66]. فالفرزدق خصّ بخطابه هذا جريرا أوّلا، لأنه يعتبره المفكّك الأول لوحدات الخطاب أي القارئ النموذجي (بتعبير إيزر)، كما نستطيع أن نسند إلى المتكلم والمخاطَب- إنطلاقا من هذا القول – محمولا جديدا، فقول الفرزدق "إن استراقك يا جرير قصائدي" يستلزم ضمنيا أن كليهما شاعر.

إذا كان الفرزدق قد حدد هويته – من خلال خطابه – بعدة أدوات لغوية، وخاصة منها ذكر نسبه الطويل الذي يمتد عبر سلسلة طويلة، فإن ذكره نسب مخاطَبه جرير كان من خلال انتسابه إلى قبيلة كليب فقط، حيث قال:

---

[64] م. ن ، ص. ن.

[65] الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص324.

[66] Voir, Philippe Breton, L’argumentation dans la communication, p 17.

مِــنْ عِزِّهمْ جَحَرَتْ كليبٌ بَيْتَــها زَرْبًــا، كأنّــهُــمُ لــدَيْــهِ القُمَّــلُ[67]

مِمَّــنْ يــكون بــني كُليبٌ رهطَهُ، أو مَــنْ يــكــونُ إليهِــمُ يتخَــوَّلُ[68]

إنِّــي ارْتَفَعْتُ عَــليْكَ كُــلَّ ثنيَّةٍ، وعَلَوْتُ فَوْقَ بني كُلَيْبٍ مِنْ عَــلُ[69]

الحضور اللغوي للمتخاطبين في الخطاب الثاني.

هوية المتكلم.

تتحدد هوية المتكلم "جرير" في الخطاب من خلال نفس الأدوات اللغوية التي حدد بها المتكلم الأول نفسه(الفرزدق)، ومنها على وجه الخصوص الإشاريات التي تعتبر لصيقة بأي خطاب منسوب إلى متكلم عام وموجه إلى مخاطَب عام، ومن هذه الإشاريات: التاء وذلك في مثل قوله:

لَمَّا وضَعْتُ على الفرزدق ميسَمي، وضَغا البَعيثُ، جَدَعْتُ أَنْفَ الأخْطَلِ[70]

الياء في مثل قوله:

إنّــي بَنَى لِي في المَــكارِمِ أوّلــي، ونَفــخْتَ كيرَكَ في الــزَّمَّانِ الأوّلِ[71]

النون في مثل قوله:

أحْلامُنا تَــزِنُ الجِــبالَ رَزانَــةً ويَــفوقُ جاهِلُــنا فَــعالَ الجُهــَّلِ[72]

---

[67] الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 324.

[68] م . ن، ص 318.

[69] م. ن، ص 326.

[70] حذيفة بن بدر بن سلمة، جرير، الديوان، د.ط، دار بيروت، بيروت، 1983، ص357.

[71] جرير، الديوان، ص357.

[72] م . ن، ص 358.

لكن جريرا على خلاف الفرزدق لم يتجاوز في تحديداته لشخصه حد التعيين الإشاري إلى تحديد نسبه، سواء إلى والده أو إلى قبيلته ويعود ذلك إلى نسبه الضعيف.

هوية المخاطَب.

إن خطاب جريرهو بمثابة رد على خطاب الفرزدق، الذي عندما أكثر من الافتخار بنفسه وبقبيلته، بتوظيف الإشاريات الدالة على المفرد أو الجمع، قام جرير، وهو في مقام هدم، بالإكثار من الإشاريات الدالة على المخاطَب، محوِّلا فخر خصمه هجاء. ومن هذه الإشاريات الضمير أنتَ للمخاطب في مثل قوله:

قُــتِلَ الزُّبَــيْرُ وأنْتَ عاقدُ حُــبْوَةٍ ، قبحا لحَبْوَتِــكَ الّــتي لَــمْ تُحْلَــلِ[73]

ضمير الجمع أنتم، في مثل قوله:

أزْرَى بحِلْمِكُــمْ الفــيــاشُ، فأنْتُمُ مِثْلُ الفراشِ غشينَ نــارَ المُصْطَلي[74]

التاء في قوله:

تَصِفُ السُّيوفَ وغيْرُكُمْ يَعْصَى بها يابْــنَ القُيون وذاك فِعْلُ الصَّيْقَلِ[75]

كاف الخطاب في قوله:

وامــدَحْ سَــراةَ بنــي فُقَيْم إنَّهُــمْ قتــلوا أبــاكَ وثَــأْرُهُ لَــمْ يُــقْتَــلِ[76]

اسم العلم لقصد التوجه في مثل قوله:

---

[73] م. ن، ص. ن..

[74] م . ن، ص 359.

[75] م . ن، ص. ن.

[76] جرير، الديوان، ص 358.

كـــانَ الـــفَرَزْدَقُ إذْ يـــعوذُ بِخالِـــهِ   مِثْلُ الذَّليل يَعـــوذُ تَحْـــتَ القَـــرْمَلِ[77]

إن القيمة الفنية التي كانت للشعر العربي في هذه الفترة، وفي هذه البيئة خلقت نماذج من المتلقين وإن كانوا غير معنيين مباشرة بالغرض الأساسي للحدث الكلامي، لكن المتكلم يستحضرهم ذهنيا أثناء إنتاجه لخطابه ومن هؤلاء على سبيل المثال:

أ- القارئ المتأمل: والذي يشتمل على:

النقاد: لأنهم أهل لنقد هذا الشعر وتقويمه، فهم يمتلكون المعرفة التي تفرض على المتخاطبين الإجادة في التعبير بما يلائم السياق ، واختيار الحجج المقنعة.

ب- الملوك والأمراء: وهم أيضا – في بعض الأحيان- أهل لهذا النقد، غير أن سلطتهم لا تتوقف عند حد المعرفة، أي السلطة المعرفية، ولكن تتجاوزها إلى السلطة المعنوية (الحكم)، والمادية (المال في حالة التكسب).

ج- القارئ المستهلك: وهم عامة الناس لتخويفهم وفرض الاحترام عليهم، فهؤلاء الشعراء "قد فشلوا في أن يحتلوا مكانتهم في الهيئة الاجتماعية عن طريق حب الناس لهم واحترامهم إياهم لأشخاصهم فهم يحتلون هذه المكانة بالإرهاب والتهديد"[78]

يمكن التمثيل لأنواع المتلقين للخطابين بالمخطط التالي:

---

[77] م . ن ، ص359.

[78] محمد محمد حسين، الهجاء والهجاءون في صدر الإسلام، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1971، ص153.

أنواع المخاطبين

مخاطب مقصود بالخطاب

مخاطب غير مقصود بالخطاب

القارئ المبدع

(القارئ النموذجي)

القارئ المتأمل

القارئ المستهلك

(الجمهور)

مذكور باسمه أو لقبه

أو ضمير الخطاب

مذكور بأدوات لغوية

معينة(الشعراء،الملوك...)

غير مذكورين

بأدوات لغوية معينة

نستنتج من هذا المخطط أن العلاقة التخاطبية لها معينات مختلفة : لغوية وسياسية واجتماعية، وشخصية...الخ لأنها نشأت في جو سياسي واجتماعي وثقافي خاص فالحكام الأمويون كانوا يشجعون على شعر النقائض. فقد كان بشر بن مروان (وهو والي الكوفة من قبل عبد الملك) " يجمع الشعراء ويوقع بينهم أو يؤلف بينهم على جرير الذي يمثل المعارضة القيسية "[79]. كما أن الشعر كان يتوافد إلى البصرة من خارجها فبعض القصائد قيلت في المربد بالبصرة، ومنه تحولت إلى الأقطار العربية الأخرى يتلقفها الرواة، ويتدارسها النقاد، ويفتخر بها الأرهاط. كما " أن الشعراء وغيرهم دخلوا بين جرير والفرزدق، وكانت كثرتهم الساحقة مع الفرزدق على جرير فسقطوا ما عدا الأخطل، وكان هذا التجمع لعوامل سياسية، وعصبية، وفنية، وشخصية."[80]

وبما أن الحجاج "إجمالا، عبارة عن مختلف الوسائل الاستدلالية الطبيعية التي تستهدف أساسا إقناع المخاطب بقول ما بالبناء على ما يُعلَم ... أو يُفترَض أن المخاطب يسلم به من أقوالِ غيره"[81]، فإن هدف المتناظرين يتجاوز إقناع المتلقي المقصود إلى إقناع المتلقين الآخرين، سواء كان ذلك بإقناعهم باللغة أو بالبناء الشكلي للخطاب، أو بالمعاني الواردة فيه، خاصة إذا كانت هذه الخطابات وليدة العصبية القبلية.

[79] أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة 1966، ص187 .

[80] م . ن، ص207.

[81] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 393.

2- **استراتيجية البناء.**

يعد الدخول في منافسة شعرية قبولا بالمناظرة وشروطها. وبما أن الشاعرين (جرير والفرزدق) قد قبلا بالغرض الذي لأجله دخلا في هذه المناظرة، فهذا يعني توفر أدنى شروطها، وهي الشروط التمهيدية التي تجعل أداء الفعل اللغوي أداء ناجحا وتتلخص فيما يلي:[82]

- شروط مضمون القضية: وهي تعبر عن شروط المضمون المعبر عنه.

- شروط الصدق: وتحدد الحال الاعتقادي للمتكلم الذي يؤدي الفعل اللغوي.

- الشروط التمهيدية: وتتعلق بطبيعة العلاقة بين المتخاطبين وبما يعرفه المتكلم عن المستمع (قدراته، اعتقاداته...الخ).

- الشروط الجوهرية: وهي الشروط التي تحدد الغرض التواصلي من الفعل الكلامي.

إضافة إلى ذلك اتفاقهما على التعاون فيما بينهما على الحوار، وصيغة هذا المبدأ:

" ليكن اندفاعك في الكلام على الوجه الذي يقتضيه الاتجاه المرسوم للحوار الذي اشتركت فيه"[83] وعلى الشروط المتفرعة عنه، فللشعر أيضا قواعده الخاصة، فقد نقل لنا صاحب الموازنة عن بزر جمهر، في ذكره لفضائل الكلام ورذائله وبعض ذلك دليل في الشعر، ما يقول فيه: "إن فضائل الكلام خَمْسٌ لو نقصت منها فضيلة واحدة سَقَطَ فضلُ سائرها وهي: أن يكون الكلام صدقًا، وأَن يوقَع موقع الانتفاع به، وأَن يتكلم به في حينه، وأن يحسن تأليفه، وأن يستعمل منه مقدار الحاجة.

---

[82] ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 261 .

[83] ينظر: طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 103.

قال: ورذائله بالضد[من ذلك]؛ فإنه إن كان صدقا ولم يُوقع موقع الانتفاع به، بطل فضل الصدق منه.

وإن كان صدقًا وأُوقع موقع الانتفاع به [ولم يُتكلم به في حينه- لم يغنه الصدق ولم يُنتفع به.

وإن كان صدقًا، وأُوقع موقع الانتفاع به] وتُكلِّم [به] في حينه ولم يحسن تأليفه- لم يستقرّ في قلب مستمعه، وبطل فضل الخلال الثلاث منه.

وإن كان صدقًا وأوقع موقع الانتفاع به وتكلم به في حينه وأَحسن تأليفه، ثم استعمل منه فوق الحاجة- خرج إلى الْهَذَر، أو نقص عن التمام- صار مبتورًا وسقط منه فضل الخلال كلها."[84]

فكل فضيلة من هذه الفضائل مرتبطة بالأخرى وتوفرها في الكلام كاملة هو الذي يحقق للكلام نجاحه. فمما لا شك فيه أن المدقق في هذه القواعد سيكتشف أنها متطابقة مع القواعد الغرايسية، فهي جامعة لمبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه، مما يدل على أن العرب هم السبّاقون إلى اكتشاف هذه القوانين.

وبموجب هذا الإتفاق يلتزم كل متناظر بتوجيه خطابه إلى متلق معين، فتوفر شرط التوجه في الخطاب – كما رأينا ذلك سابقا – يعني مطالبة المتكلم المخاطَب الدخول معه في المحاورة، وهي المرتبة الثانية من مراتب الحوارية عند "طه عبد الرحمان"، مما يدل على أن المتكلم ملزم، في إطار العملية التواصلية، ليس فقط بنقل الخبر وحده، وإنما

---

[84] أبو القاسم الحسن بن بشر، الآمدي، الموازنة بين شعر أبى تمام والبحتري، تحقيق: السّيد أحمد صقر، ط2، ج 1، دار المعارف، مصر، 1972 ، ص 427-428 .

يتجاوزه إلى قصود أخرى، وهي إبلاغ هذا الخبر إلى الغير للتأثير فيه، حيث يفترض أن تتحقق هذه البنية في كل قول، وتصاغ بهذا الشكل:

أفعل + ح ك + أن ح

حيث أن: أفعل صيغة أمر (للمتكلم المفرد)، تأتي في معنى الطلب أو الأمر، أو السؤال (أو غيره من الأغراض الإنشائية).

ح: حرف جر، ك : ضمير المخاطَب، ج: الجملة المصدرية.

كقولنا: أثبت دعواك ⟵ أطلب منك أن تثبت دعواك[85]

فمما يروى عن أخبار هذين الشاعرين قول صاحب العمدة:

" صنع الفرزدق شعرًا يقول فيه:

فإني أنا الموتُ الذي هو ذاهبٌ بِنَفْسِكَ، فانظر كيف أنت محَاوله

وحلف بالطلاق أن جريرًا لا يغلبه فيه، فكان جرير يتمرغ في الرمضاء ويقول: أنا أبو حَزْرَةَ، حتى قال:

أنا الدهرُ: يَفْنَى الموتُ والدهرُ خالدٌ فجئني بمثلِ الدَّهر شيئًا يطاوله "[86]

فالفرزدق في هذا النموذج الخطابي قصد من خلال كلامه إبلاغ الخبر لجرير ومطالبته إياه بمغالبته فيه في المعنى•، باتباع نفس الوزن والقافية. وعلى هذه الشاكلة يسري هذا النموذج الخطابي الذي نحن بصدد دراسته.

---

[85] ينظر: طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 44.

[86] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تقديم وتحقيق: صلاح الدين الهواري، هدى عودة، ط1 ج1، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1996، ص331 .

يمكن صياغة ذلك بهذا الشكل:

أطلب منك أن تغلبني في قولي هذا.

أو

أطلب منك أن تأتي بمثل قولي هذا.

فالدلالة في هذه الحالة تنبني على قصود المتكلمين. وإفادة قول القائل ينبني على أمور ثلاثة:

1- أن يدفع قوله إلى نهوض المقول له بالجواب.

2- أن يتعرف المقول له على هذا القصد.

3- أن يكون انتهاض المقول له بالجواب مستندا إلى تعرفه على قصد القائل.[87]

للفرزدق إذن شروط تمهيدية للمباشرة في إنتاج خطابه، غير أن عملية إنتاج الخطاب تستوجب إلى جانب هذه الشروط شروطا أخرى يراها المنظّرون أساسا في المناظرة منها توفير الجو الهادئ والظروف البيئية المناسبة للمناظر حتى يستوفي حججه، فهو يحتاج إلى عوامل- نفسية بالدرجة الأولى- تعينه على ذلك. وهو الجانب الذي أولاه المنظرون العرب الأهمية البالغة حيث " قالوا: قواعد الشعر أربع: الرغبة، والرهبة، والطرب والغضب، فمع الرغبة يكون المدح والشكر ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع"[88] فكلها تعبر عن أحوال نفسية تدفع الشاعر إلى الإبداع.

• كان على الخاسر في هذه المناظرة أن يُطلِّق زوجته، وعندما كانت الغلبة لجرير طلق الفرزدق النوّار.

[87] ينظر: طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص45.

[88] ابن رشيق، العمدة، ص210.

وعندما تستثار هذه العوامل النفسية والانفعالات الداخلية، مما ينتج عنه خلل في التوازن النفسي، نجد الشاعر يبحث لنفسه عن زمن ومكان خاصين يساعدانه على التعبير لتحويل هذه الانفعالات والإحساسات إلى لغة، حيث يلعب الفكر في هذه المرحلة دورا أساسا فيحاول صوغ خطابه وفق الحالة النفسية التي يريد التعبير عنها، أو المعتقدات التي يسعى إلى الدفاع عنها. ويميز ما يلائم الغرض والموضع مما لا يلائم، فيختار وفق ذلك بعض الاستراتيجيات الخطابية الملائمة لهذا الغرض أو ذاك. " فأول ما يحتاج إليه الشاعر- بعد الجد الذي هو الغاية وفيه وحده الكفاية- حسن التأليف والسياسة، وعلم مقاصد القول، فإن نسب ذل وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أخل وأوجع، وإن فخر خب ووضع وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف حن ورجع، ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنا من كان، ليدخل إليه من بابه، ويداخله في ثيابه، فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس وبه تفاضلوا."[89] فلكل مقام تخاطبي آلياته التخاطبية.

والأصل في المناقضة " أن يتجه شاعر إلى آخر – أو عدة شعراء – هاجيا أو مفتخرا فيرد عليه خصمه هاجيا أو مفتخرا ملتزما البحر والروي التي اختارها الشاعر الأول."[90]وهذا ما يجعلها مزدوجة الأغراض، فنجد فيها المدح والفخر- من جهة- و الهجاء من جهة أخرى، وهذا ما يستدعي توظيف استراتيجيتين خطابيتين:

- الاستراتيجية التضامنية: وهي " الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسّد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبّر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما"[91]. غير أن المرسل إليه في هذه الحالة لا

---

[89] ابن رشيق، العمدة، ص330-331.

[90] أحمد الشايب، تاريخ النقائض، ص3 .

[91] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص257.

يكمن في شخص جرير، وإنما يكمن في أقارب الفرزدق ومن يتساوون معه في المكانة الاجتماعية (خاصة الناس)، فهو لا يفتخر بنفسه وبنسبه إلاّ وأشرك هؤلاء في هذا الفخر. وهو ما أشرنا إليهم بالمتلقين غير المباشرين، لأن ذكرهم لم يأت إلا لإشعار جرير بالإهانة والتحقير.

- الاستراتيجية التوجيهية: وهي الاستراتيجية التي يحاول من خلالها المرسل تجسيد سلطته على المرسل إليه بحكم التفاوت الاجتماعي بينهما ف " رغبة المرسل في الاستعلاء أو الارتفاع بمنزلته الذاتيّة "[92] تفوق رغبته في تهذيب الخطاب.

2-1 الاستراتيجية التضامنية:

تبدأ المناظرة بإعلان الفرزدق عن مسألته وتأكيد قضيته، مخبرا مناظره جريرا عن رفعة مكانته وثبات عزه وكرمه، مسندا الى الله تعالى صفة البناء، فهو حاكم الأرض والسماء، وما حكم به لا راد له، وما بناه لا ناقل له حيث يقول:

إنّ الـــذي سَـــمكَ السَّماءَ بنى لَنَا   بـــيتًا، دَعَـــائِمُـــه أعَـــزُّ وأطْـــولُ

بَيْتـــًا بـــَنَاهُ لَنَا المَليكُ، وَمَا بَنَـــى   حكَـــمُ السّمَـــاءِ، فـــإنَّـــهُ لا يُـــنْقَـــلُ[93]

وقد أكدّ هذا الخبر بمؤكد ابتدأ به خطابه وهو (إن) ليؤكد به خبره، رغم أن الذي ألقي عليه عالم به، لاحاجة له لتأكيده. إلا أن هذا التأكيد جاء ليثبت به خبره لمن كان ناكرا له فالخبر في منظور علماء العرب يأتي لإفادة المخاطب بخبر يجهله، غير أنه قد يأتي لأغراض أخرى حسب حال السامع الذي يلقى عليه، لذلك جعلوه ثلاثة أضرب:

[92] م. ن، ص329.

[93] الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 318.

ابتدائيا: وهو الذي يلقى على من هو خالي الذهن من الحكم، الذي هو مضمون الخبر ويأتي خاليا من أدوات التوكيد.

طلبيا: وهو الذي يلقى على من هو عالم به شاك في حكمه متطلع إلى معرفة الحقيقة فهو بين بين، لذلك وجب أن يأتي مؤكدا بإدخال اللام أو إن لإزالة الشك نحو: زيد عارف أو إن زيدا عارفا.

إنكاريا: وهو الذي يلقى على من هو عالم به، منكرا لحكمه، فوجب تأكيده بمؤكد أو أكثر تبعا لدرجة إنكاره.[94]

وبعد تأكيد هذا الخبر بمؤكد لغوي، أضاف الفرزدق إلى ذلك كلمة تحمل من الدلالة ما يؤكد هذا الخبر وهو الدعائم، فالبيت الذي قصده الفرزدق من خلال خطابه لا يتعلق بالبيت الذي نجده في الواقع، بل هو العز والشرف الذي هو لدارم. لكن ذلك لا يمنع من أن يكون لهذا البيت المجازي مرجع خارجي اُستُمدّ من خصائصه ما يمكن أن ينسب لغيره، لوجود علاقة تلازمية بينهما أو علاقة اقتضاء، فالبيت الذي دعائمه متينة وطويلة تبرز لنا عز صاحبه الذي يعيش فيه، والبيت المتين يقتضي أن تكون دعائمه متينة وطويلة، والبيت الذي تكون دعائمه طويلة يقتضي أن يكون ساكنه ذا عز وجاه و هذا مايستلزم أن يكون ساكن البيت المتين له عز وجاه.

أشرك الفرزدق ذويه في هذه المكانة وكل من له عزّ ورزانة، من ملوك عظام وقبائل عريقة، قاصدا ذكرها بحسن تضامننا معها لرد كل شرّ وغبن قائلا فيهم:

بَيْــتًــا زُرَارَةُ مُحْتَـبٍ بِــفِنَائِــهِ، وَمُجَاشِــعٌ وأبُــو الفَــوَارِسِ نَهْشَلُ

يَــلِجُونَ بَيْتَ مُــجَاشِعٍ، وَإذا احتبوْا بَــرِزُوا كَــأَنَّهُــمُ الجبــالُ المُــثَّلُ[95]

[94] ينظر: أبو يعقوب يوسف، السكاكي، مفتاح العلوم، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص 74.

إن هذا البيت العريق هو مجمع عظماء الرجال، كزرارة، ومجاشع، وأبي الفوارس ونهشل، يحتبون فيه. و"الحبأ على مثال نبإ، مهموز مقصور: جليس الملك وخاصته والجمع أحباء (...) وحكي: هو من حبإ الملك ، أي من خاصته."[96] فأنزل بذلك زرارة منزلة الملك وهو يجتمع بخاصته من الوزراء وغيرهم.

ويقول الفرزدق في موضع آخر:

حُلَــلُ الملوكِ لبــاسُنَا في أهــلنا والسَّابغاتِ إلى الوغى نــتسربْــلُ[97]

استعمل الفرزدق ضمير الجمع (نا) وكلمة (أهل) ليظهر انتسابه إلى هذه العائلة المالكة، التي تتّخذ من لباس الملوك حلة لها بين أهلها، أما إذا نزلت إلى ساحة الحرب فإنها تتّخذ من الدروع لباسا لها، فهو في حالة السلم يكون ملكا، أما إذا اشتدت الشدائد وعدت العدائد اتخذ لنفسه الدروع رداء لرد شر الأعداء. ويقارن في بيت آخر بين هاتين الحالتين واصفا أنفسهم بالرزانة والوقار في السّلم، أما إذا كانت الحرب ثاروا وتحولوا إلى جن حيث يقول:

أحلامُنــا تَــزِنُ الجــبالَ رزانــةً وتخالنــا جِنًّا إذا مــا نــجهــلُ[98]

لم يكتف الفرزدق بالافتخار بوالده حنظلة بن مالك بن زيد وقبيلته، بل تجاوزهما إلى الافتخار بأخواله، حيث سرد لنا مجموعة من الأخبار يدعم بها مسألته ويقوي بها حقائقه فهؤلاء الأعمام والأخوال بلغوا أسمى مراتب الشرف، فقد انتصروا في معارك كثيرة منها: يوم فلك الأميل، يوم بزاخة، يوم عيار، موقعة الجمل... الخ قائلا فيهم:

---

[95] الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص318 .

[96] ابن منظور، لسان العرب، د.ط، المجلد الأول، 1968، ص 53.

[97] الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص321 .

[98] الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 321 .

وأنا ابــنُ حنظلةَ الأغــرُّ، وإنـّـني   فــي آل ضَــبَّةَ لَلْمُعَــمُّ المُخْــوَلُ

فرعانِ قد بــلَغَ السَّمــاءَ ذُراهُــما   وإليهما مِــنْ كلِّ خــوفٍ يُعقَــلُ

فلئِنْ فَــخَرْتُ بهِــمْ لمــِثْلِ قديمهِمْ   أعلــو الحــزونَ بِــهِ ولا أتسَهَّلُ

زَيْــدُ الفــوارسِ وابــنُ زَيدٍ مِنْهُمُ   وأبــو قبــيصةَ والــرَّئيسُ الأوّلُ

وهُــمُ على ابنِ مزيــقياءَ تــنازلوا   والخَيْــلُ بين عجاجتيها القَــسْطَلُ

وهــمُ الَّذين عــلى الأمِيلِ تداركوا   نعَمًــا يُشَــلُّ إلى الرَّئيس ويُعْكَلُ

وهُــمُ الَّذين عَلَوْا عُمارة ضَــرْبَــةً   فــوهاء فــوق شؤونــه لا تُوصَلُ

وهُــمُ، إذا اقتُسِم الأكابِــرُ ردَّهُــمْ   وافٍ لضبَّــة، والرِّكابُ تُــشَــلَّلُ[99]

ثم ينتقي منهم زيد بن حصين بن ضرار بن دريم(زيد الفوارس) والحُصَيْن بن زيد (ابن زيد) وأبا قَبيصَة ومحلِّم بن سُوَيْط(الرئيس الأول) ليتباهى بهم[100] وبشجاعتهم حيث أحال عليهم، بعد تحديدهم بالاسم، بضمير الجمع الغائب(هم) وقد أعانه على ذلك ملكته اللغوية ذاتها.

من عادة العرب أن تستنجد بغيرها من القبائل وقت الحاجة، خاصة إذا كانت ديارها مهددة بالخطر، وأحب القبائل من سارع لنجدتها عظماء القبائل ورؤساؤها. وهذا الفرزدق يتباهى بالقبائل الأخرى التي كانت تلبي طلب النجدة كلما كانت إليها حاجة حيث يقول:

---

[99] الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 321-322 .

[100] أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، شرح وتعليق: محمَّد التونجي، د.ط، المجلّد الأوّل دار الجيل، بيروت، 2002، ص300-301.

وإذا دَعــوْتُ بـــني فُقَيْـــمٍ جاءنـــي مَجْرٌ، لَـــهُ العَـــدَدُ الّذي لا يُعْـــدَلُ[101]

وقد استعمل هنا فعل (دعوت) بدل (استنجدت)، لما لهذين الفعلين من فرق دلالي فطلب النجدة أو الاستنجاد بالغير يعني ضعف المُستنجد ووقوعه في الخطر والذل لكن المتكلم قال(دعوت) مما يقلّل من الضعف حدته الدلالية ليدل على طلب العون مع كثير من الاحترام، مع قبول أو رفض المستَنجَد به لهذه الدعوة، إن لم يكن ذلك للضرورة الشعرية. وهذا ما يدل على امتلاكه الملكة اللغوية، لأن العملية الإبداعية كما يرى ذلك رومان جاكبسون تحكمها عمليتان: عملية النظم التي تتم على محور التنسيق أو التركيب الجملي أو النصي، وعملية الاختيار التي تسمح للمتكلم، على مستوى المحور العمودي، التعبير عن المعنى المراد التعبير عنه، والذي يراه المعنى الأنسب في ذلك السياق عن غيره من الألفاظ الأخرى.

قصد الفرزدق هنا تعظيم نفسه مع تعظيم غيره، فتعظيم نفسه تم من خلال قبول الدعوة من قبل المستنجد بهم، وذلك ما دلت عليه الجملة الشرطية (إذا دعوت) وجوابها (جاءني)، أما تعظيم بني فقيم فظاهر من خلال استعماله لكلمة (مجر) التي تعني جيشا كثيرا، وجملة (لا يعدل) التي تعني ليس له عدل من غيره أي لا يساويه غيرُه.

ويقول في موضع آخر:

وإذا الـــرَّبائعُ جـــاءنـــي دُفّـــاعُها مَـــوْجًا، كأنّهُمُ الجراد المُرْسَـــلُ[102]

ويقصد هنا بالربائع:

[101] الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 320 .

[102] الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص 320 .

ربيعة الكبرى: وهو ربيعة بن مالك بن زيد مناة، الذي يلقب بربيعة الجوع، وهو رهط علقمة بن عبدة الشاعر.

ربيعة الوسطى: وهو ربيعة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد، رهط المغيرة بن حبناء الشاعر، ورهط أبي بلال مرداس بن أدية وعروة بن أدية.

ربيعة الصغرى: وهو ربيعة بن مالك بن حنظلة، وهو رهط الحنتق بن السجف[103]

وصف هذه الربائع لقوتها وكثرة عددها بالدفاع، وهو السيل حين يكثر ويمتد وبالجراد أيضا.

إن المتصفح لخطاب الفرزدق يجد فيه الكثير من الأخبار بالقليل من اللفظ فيكون هذا الخطاب بذلك مستوفيا قانونين من قوانين الخطاب التي أوردها الآمدي على لسان بزر جمهر، والتي تقابلهما قاعدتان من قواعد غرايس، وهما قاعدتا الجهة والكم التي مفادهما ما يلي:

قاعدة الكيف: Qualité أو ما يسمى جهة الخبر: والتي تتفرع عنها الشروط التالية:

- لتحترز من الخفاء في التعبير.

- لتحترز من الاشتباه في اللفظ.

- لتتكلم بإيجاز.

- لترتب كلامك.[104]

---

[103] أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، ص297.

[104] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص104.

وهي الخصائص الجوهرية للشعر، حيث إن هذه القاعدة واجبة " في شعر كل شاعر وذلك أن يحسن تأليفه، ولا يزيد فيه شيئا قدر الحاجة. فصحة التأليف في الشعر، وفي كل صناعة هي أقوى دعائمه بعد صحة المعنى، فكل من كان أصح تأليفا كان أقوم بتلك الصناعة ممن اضطرب تأليفه."[105]

قاعدة كم الخبر: Quantité وصيغتها: لا تجعل إفادتك المخاطب أكثر من القدر المطلوب[106]

قد يعترض معترض على هذه القاعدة الثانية ويقول إن الفرزدق قدم أخبارا كثيرة، قد يغنيه عن ذكرها كلها ذكر بعضها. وردُّ هذا الاعتراض يجعلنا نربط هذه القاعدة بعنصرين اثنين: أولهما اعتبار مقصدية المتكلم من خلال خطابه، فهو يسعى، إضافة إلى إبداع نص شعري، إلى اجتلاب نفع (عاجل وآجل) ودفع ضرر. وذلك بطلب المساعدة من الغير في حالة الخطر لرد كل شر، باعتبار الشاعر هو الناطق بلسان القبيلة. أما ثانيهما فيكمن في ربطه بقاعدة أخرى تدخل ضمن قوانين الخطاب وهي قاعدة العلاقة أو ما يسمى بعلاقة الخبر بمقتضى الحال وصيغتها: ليكن قولك مناسبا لمقامك.[107] والتي عبّر عنها القرطاجني بالقوّة المائزة و" هي التي بها يميّز الإنسان ما يلائم الموضع والنظم والأسلوب والغرض ممّا لا يلائم ذلك، وما يصحّ ممّا لا يصحّ."[108] فإذا علمنا أن الفرزدق في موقف فخر وأن عصره عصر عصبية، وأصل هذه الكلمة هو " (عصب) جمعها أعصاب وهي أطناب (حبال) المفاصل التي تلائم بينها...والتعصب من العصبية وهي أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتأهب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو

---

[105] بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، د.ط، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1971، ص102.

[106] طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 104.

[107] ينظر: م . ن، ص. ن.

[108] أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمّد الحبيب ابن الخوجة، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص43.

مظلومين "[109] فإن الأنسب إليه أن يذكر كل ما من شأنه أن يظهر به هذه الرفعة، ليزيد به كل طلعة حيث يقول:

وَهَبَ القصائِدَ لي النَّوابِغُ إذْ مَضَوْا وأبــو يَزِيدَ وذو القــُروحِ وجَرْوَلُ

والفَحْلُ عَلْقَمَةُ الّــذي كــانتْ لـَـهُ حُــلَلُ المــلوكِ كلامُهُ لا يُــنحَلُ

وأخــو بني قَيْسٍ وهــُنَّ قتــلْنــهُ ومُهــَلْهِــلُ الشُعــراءِ ذاك الأوَّلُ

والأعْــشَيان كِلاهُــما ومُــرَقِّــشٌ وأخــو قــضاعَةَ قــوْلُهُ يُتَمــَثَّلُ

وأخــو بني أسَــدٍ عبيــدٌ إذْ مَضَى وأبــو دؤادٍ قــوْلُــهُ يُــتــَنَحَّــلُ

وابْن أبــي سُلْمَى زُهَــيْرٌ وابْــنُهُ، وابن الفُرَيْعَةِ حينَ جَــدَّ المِقْــولُ[110]

حيث ذكر من الشعراء ما يؤكد شاعريته، لما للشعر من مكانة في العصر الذي عاش فيه الشاعر، حيث ذكر منهم من صنّفهم ابن سلام الجمحي في طبقاته وهم:

الطبقة الأولى: امرؤ القيس، و نابغة بني ذبيان، وزهير بن أبي سلمى، والمرقش.

الطبقة الثانية: الحطيئة، وكعب بن زهير.

الطبقة الثالثة: نابغة الجعدي.

الطبقة الخامسة: المخبل. حيث يعتبر هؤلاء ممن ورث عنهم الشعر.

---

[109] ابن منظور، لسان العرب، د. ط، المجلد الأول، ص606.

[110] الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص323 .

السابق في كلام العرب خبر وإنشاء، والكلام بأحدهما، ف " الخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب أو التصديق والتكذيب وكقولهم هو الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور إلى أمر من الأمور نفيا أو إثباتا."[111] وذلك انطلاقا من تعريف بعضهم الكلام بقولهم " هو القول المقتضي بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو الإثبات "[112] أما الإنشاء فهو ما لا يحتمل الصدق والكذب، لأن مدلول لفظه ليس له وجود خارجي قبل التلفظ به كي يطابقه أو لا يطابقه، ينظر إليه لأسلوبه بغض النظر عما يستلزمه.

وقد تناولت العرب دراسة هذين الغرضين في إطار ما يعرف ب "علم المعاني" الذي يعرفه السكاكي بقوله: "هو تتبع خواص تراكيب الكلام في إفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره."[113] غير أن مسألة الصدق والكذب في الخبر تطرح إشكالا كبيرا في الدرس البلاغي العربي، بين من يرى أن الصدق يكون في مطابقة الكلام لاعتقادات المتكلم، حيث إنه إذا وافق الكلام معتقداته كان الخبر صادقا والعكس إن خالفها، وبين من يرى أن صدق الخبر مرتبط بمطابقة مضمون الخبر للواقع.

إذا أخذنا بمقياس هذا أو ذاك فإن الأخبار التي أوردها الفرزدق في خطابه أخبار صادقة، فهي مطابقة لاعتقاداته، فالدخول في المناظرة تستوجب من المناظر أن يكون معتقدا بكلامه، ومحاولا إقناع مناظره به. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه الأخبار مطابقة للواقع، فالفرزدق لم يخبر مخاطبه إلا بالأخبار الصادقة، وبما تم التواتر على نقله من أخبار العرب وأيامهم، حيث أحال على وقائع حقيقية مطابقة للواقع كإحالته على بعض أيام العرب، حيث تم اتجاه المطابقة في هذه الحالة من الواقع إلى اللغة، بتحويل وقائع

---

[111] السكاكي، مفتاح العلوم، ص71.

[112] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص70.

[113] السكاكي، مفتاح العلوم، ص70.

خارجية إلى وقائع لغوية. لذلك قيل إن الشعر (ديوان العرب). فتم الانتفاع من هذا الشعر في عاجله وآجله، أما عاجله فانتفع به صاحب القول وقبيلته، أما آجله فقد اشترك في منفعته متلقون آخرون كمؤرخي التاريخ العربي والنحويين.

لكن هل ينتهي الحكم على مضمون الخطاب عند نقطة اعتباره صدقا وننسى طبيعة الشعرمن حيث هو كلام كاذب؟ و ننفي بذلك قول أغلبية النقاد القائلين إن " أحسن الشعر أكذبه " ؟ أو قول الله عز وجل في كتابه العزيز ﴿ وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما َلاَ يَفْعَلُونَ﴾[114] ؟ إن الكذب من طبيعة الشعر لكن أين يكمن الكذب في النقائض؟

2-2 الاستراتيجية التوجيهية:

تتمثل الاستراتيجية الثانية التي وظَّفها المتكلم لتبليغ قصده وتحقيق هدفه في الاستراتيجية التوجيهية، وذلك وفق ما يقتضيه غرض الهجاء، حيث إن " هناك سياقات لا تناسبها الخطابات المرنة التي تمنح الأولويّة لمبدأ التهذيب وعوامل التخلّق، ومردّ ذلك إلى أسباب كثيرة منها ما يتعلّق بأولويّة التوجيه على التأدّب في خطابات النّصح والتحذير وغيرها."[115]

ويهدف الفرزدق من خلال هذه الاستراتيجية إلى إبقاء الفوارق الاجتماعية بينه وبين مخاطبه، ومن مسوغات استعمال هذه الاستراتيجية اختلاف المتناظرين من حيث المكانة الاجتماعية، فالفرزدق أعلى مرتبة اجتماعية من مناظره جرير. وهنا يظهر الخلل في شروط المناظرة، التي تستوجب أن يكون المتناظران متساويين مكانة ومعرفة.

---

[114] سورة الشعراء، الآية 224-225-226.

[115] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص322.

إذا كان الفرزدق في سياق المدح يغالي في الإعلاء من شأن أسرته وقبيلته فإنه بالمقابل، عندما كان في مقام هجاء، يغالي في الحط من قيمة جرير وقبيلته، مخترقا بذلك قاعدة الاستحسان عند ليتش التي صورتها:

قلل من مدح الذات وأكثر من ذمها.

ولقاعدة الموافقة التي صورتها:

قلل من الاختلاف بين الذات والغير وأكثر من توافقهما[116]

و للجانب التهذيبي من العلاقة التخاطبية ل "طه عبد الرحمان"، أو ما أسماه (مبدأ التصديق الإسلامي) الذي يقتضي ممارسة الصدق على ثلاثة مستويات:

" 1- الصدق في الخبر: فهو أن يحفظ المتكلم لسانه عن إخبار المخاطب بأشياء هي على خلاف ما هي عليه.

2- الصدق في العمل: فهو أن يصون سلوكه عن إشعار المخاطب بأوصاف هي على خلاف ما يتصف به.

3- مطابقة القول للعمل: فهو أن يحفظ لسانه وسلوكه عن إشعار المخاطب بوجود تفاوت بينهما."[117] حيث يقول:

مِـــنْ عِزِّهِمْ جَحَرَتْ كليبٌ بَيْـــتَها زَرْبًـــا، كأنّـــهُـــمُ لـــدَيْـــهِ القُمَّـــلُ

ضربَتْ عَليكَ الـــعَنْكَبوتُ بنَسْجِهَا، وَقَـــضَى علَيكَ بِـــهِ الكِتابُ المُنْزَلُ[118]

---

[116] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 325 .

[117] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص251.

[118] الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص318 .

حيث استعمل فعل (جحرت) بدل (دخلت) ليشير بذلك إلى أن بيت جرير شبيه بالجحر لصغره وحقارته، مقارنة ببيته الطويل العريق. كما أنه شبّهه بالزرب " والزربُ : موضع الغنم، والجمع فيها زروب، وهو الزَربية أيضا. "[119] ثم شبه هذا البيت أيضا لدناءته ووهنِه ببيت العنكبوت معبّرا عن ذلك بالفعل (ضربت) الذي قد يأتي بمعنى أفسدت حيث يقول ابن منظور "ضربت فيهم فلانة بعرق ذي أشب أي التباس أي أفسدتْ نسبَهُمْ بولادتها فيهم"[120] كما تدل، هذه الصيغة أيضا، على أن بيت العنكبوت يمنع جريرا من الحركة لتغيير مصيره وقدره.

كما نلاحظ فإن الفرزدق يخفي وراء هذه الأقوال دلالات أخرى خفية، هي الدلالات المقصودة بالقول، سواء كان ذلك في الاستراتيجية التضامنية أو الاستراتيجية التوجيهية وهي التي عبر عنها سيرل بالقوة الإنجازية المتضمنة في القول. حيث إن الفعل الإنجازي لديه يحمل قوتين:

- قوة إنجازية حرفية أو ما يسمى بفعل القضية.

- قوة إنجازية متضمنة أو فعل القوة.

حيث يتم في هذه الحالة انتهاك القواعد التخاطبية المتفرعة عن مبدأ التعاون الغرايسي ويتعلق الأمر بقاعدة الكيف، مما يجعلنا نبحث عن الدلالة المقصودة بالقول عن طريق عمليات استدلالية، أوما يسمى بالاستدلال التخاطبي، وقد يساعدنا في ذلك اعتماد بعض المعايير يراها سيرل ضرورية في تحديد القوة الإنجازية للأفعال. وهي معايير لا تعتمد

---

[119] ابن منظور، لسان العرب، د. ط، المجلد الأول، ص447 .

[120] ابن منظور، لسان العرب، د. ط، المجلد الأول، ص545.

على معاني الأفعال Les verbes كما تحددها المعاجم وإنّما على الأفعال ذاتها Les actes وهذه المعايير هي[121]:

- الغرض من الفعل الإنجازي.

- درجة شدة الغرض الإنجازي.

- إتجاهات المطابقة بين اللغة والعالم.

- الافتراضات.

- شدة الصراحة.

- نمط الإنجاز.

- الحالة النفسية المعبّر عنها.

- الطريقة التي ترتبط بها مصلحة كل من المتكلم والمستمع والتي تحدد وضعية كل منهما.

- علاقة الفعل الإنجازي مع السياق الخطابي العام.

- علاقة الفعل الإنجازي بالمؤسسات غير اللغوية.

مع الإشارة إلى أن توفر هذه العناصر في فعل واحد توفر متفاوت، إلا أن تضافرها يوفر للفعل إنجازية عالية تجعله أشد تميزا عن الفعل التعبيري.

تنعكس إذاً الحالة النفسية التي يريد الفرزدق التعبير عنها والسياق الخطابي العام للنقائض على التشكيل اللغوي للخطاب وبناء المعنى، وتبعا للشروط التمهيدية التي تتعلق

[121] مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص 85-86.

بعلاقة الفرزدق بجرير تتحدد القوى الإنجازية للأفعال الكلامية. فالهجاء كقرينة يجعل للاستفهام الذي "هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل"[122] غرض آخر يستدعيه المقام وهو إشعار المخاطب باستحالة ارتقائه بنسبه إلى مرتبة المتكلم. فالاستفهام يحمل في طياته معنى تعظيم الذات(ذات المتكلم) وتحقير الآخر(ذات المخاطَب) وذلك في مثل قول الفرزدق:

أيـــن الّـــذين بهـــم تُسامي دارمًا ؟ أم مـــن إلـــى سلفَـــي طهيَّة تَجْعـــلُ؟[123]

يابن المَراغةِ أين خـــالُك؟ إنّـــني خـــالي حُبَيش ذو الفَعالِ الأفْضَـــلُ[124]

وقد تناولت الدراسات البلاغية العربية هذا الغرض ضمن علم المعاني، في إطار الأغراض الأصلية والأغراض الفرعية، وقسمه علماء الأصول إلى قسمين: استفهام الإنكار واستفهام التقرير.

" 1- استفهام الإنكار: ومعناه، حسب الزركشي: أن ما بعد الأداة منفي، ويجيء لأغراض كتعريف المخاطَب أن ذلك ممتنع عليه، وله نوعان... إبطالي وحقيقي. الأول (الإنكار الإبطالي) يكون ما بعد أداة الاستفهام غير واقع... وفي الثاني (الإنكار الحقيقي) يكون ما بعد الأداة واقعا وفاعله معلوم.

2- استفهام التقرير: ومضمونه حمْلُكَ المخاطَب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عندك."[125] فهذا الاستفهام هو من النوع الأول لأن المتكلم يريد إشعار المخاطَب باستحالة ارتقائه إلى مستواه الاجتماعي.

---

[122] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص88.

[123] الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص319.

[124] م.ن.ص322.

من أساليب التوجيه أيضا استعمال صيغة الأمر "وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الآمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منه في الواقع أم لا "[126] وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي للأسباب الواردة أعلاه. حيث يقول الفرزدق:

وإذا بَكَيــْتَ عــلى أُمــامَةَ فاسْتَمِعْ قَــوْلاً يَــعُمُّ وتــارَةً يُتَتــَخَّــلُ

أسَأَلْتَني عَــنْ حُبْــوَتي ما بــالُها؟ فاسأل إلَى خبري وعَــمَّا تَسْأَلُ[127]

حيث خرج الأمر في هذه الحالة إلى الإخبار.

يقول أيضا:

فادْفَــعْ بكفّــك-إنْ أرَدْتَ بناءَنا- ثَهلانَ ذا الهَضبَاتِ هَلْ يتحَلْحَلُ[128]

والغرض البلاغي من هذا الأمر التعجيز، "وهو مطالبة المخاطَب بعمل لا يقوى عليه إظهارا لعجزه وضعفه وعدم قدرته."[129] على تغيير مكانته وسط مجتمعه.

3- استراتيجية الهدم.

بعد أن استوفى الفرزدق خطابه يأتي دور المناظر الثاني للرّد على هذا الخطاب بخطاب ضدي، موافقا للخطاب الأول من ناحية الوزن والقافية ومناقضا له في المعنى فالغرض من خطاب الفرزدق، إضافة إلى تبليغ المعنى، هو التأثير في المتلقي لدفعه للرّد

---

[125] مسعود صحراوي، التداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ط1، دار الطليعة، بيروت، 2005، ص163.

[126] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص75.

[127] م . ن، ص 320 .

[128] الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ص321 .

[129] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص80.

وهو ما يسميه أوستين AUSTIN بالفعل التأثيري Acte perlocutoir وهو الفعل الذي ينتج عن الفعلين السابقين (الفعل التعبيري، والفعل الإنشائي)، سواء كان ذلك على مستوى المشاعر، أو على مستوى الفكر، أو على مستوى الفعل.

لكن المتلقي قبل أن ينتج نصه عليه أن يفكك النص الأول ويهدمه، ليحاول أن يبني على أنقاضه خطابا آخر تابعا لمقصدية قائله. حيث إن عملية الرد تستوجب منه أن يمتلك كفاءة تداولية تضاهي أو تفوق الكفاءة التداولية للمتكلم " فإذا كانت تتجلّى كفاءة المرسل التداوليّة في صناعة الخطاب، فإنّها تتجلّى الكفاءة التداوليّة للمرسل إليه عند تأويل الخطاب للوصول إلى مقاصد المرسل وإدراك حججه."[130] وتتم هذه العملية حسب "ولسون " و"سبربر" انطلاقا من المنظومة اللسانية التي تسمح للمؤول، أولا، باستخراج الصيغة المنطقية للقول بالاستعانة بالملكة اللغوية والمنطقية.

وتعتبر اللغة في هذه الحالة مجرد واجهة يصطدم بها القارئ لتحيله فيما بعد على معانٍ أخرى تخفيها وراءها، لأن اللغة كما يعتبرها ابن جني ليست سوى " أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم." [131]

وأثناء تحليل المنظومة اللسانية اتضح المحتوى القضوي للقول، حيث يتمحور حول بؤرة دلالية واحدة وهي أيهما أحسن من الآخر من ناحية:

- الشجاعة والقوة، حيث " للعرب مثلٌ عليا هي متكؤهم في المدح والهجاء « منها في الخَلْق: الجمال والبسطة، ومنها في الخلق: السخاء والشجاعة والحلم والحزم والعزم والوفاء والعفاف والبر والعقل والأمانة...» فهذه مما يمدح به كما أن أضدادها تصبح

---

[130] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص476 .

[131] أبو الفتح عثمان بن جنّي، الخصائص، تحقيق: محمّد علي النّجار، ط2، ج 2، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت د. ت.

موضوعا للهجاء."[132] يتعلق الأمر في هذه الحالة بما هو جماعي، أي بما تشترك فيه الجماعة (القبيلة).

- الملكة الشعرية، وهي خاصية فردية يمتلكها فرد واحد.

حيث إن هذا التحديد يسمح بتوليد الافتراضات الممكنة لتأويل القول استنادا إلى ما هو مخزن في الذاكرة، فينحصر بذلك المعنى بين ثلاثة إمكانات:

- يكون معنى مطابقيا: حيث يتساوى المعنى الافتراضي الظاهري والمعنى المقصود.
- يكون معنى تضمنيا: إذا اختلف المعنى الافتراضي الظاهري والمعنى المقصود.
- يكون إلتزاميا: إذا تلازم المعنيان دون أن يتطابقا.[133]

ولاختيار الافتراض الأقرب إلى المعنى المقصود بالقول، على جرير أن يلجأ إلى عمليات استدلالية منطقية، بالاعتماد على الخطابات المألوفة بين الشاعرين من جهة والسياق الخارجي والحالة الذهنية للقائل من جهة أخرى. فممّا يروى عنهما ما نقله أبو الفرج الأصفهاني قائلا: " أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الحَسن بن عُلَيل قال حدّثني محمد بن عبد الله العَبديّ عن عُمارة بن عُقَيل عن جدِه قال:

وقف الفرزدقُ على أَبي بِمَرْبد البصرة وهو يُنشد قصيدته التي هجا بها الراعي؛ فلما بلَغ إلى قوله:

فغُضَّ الطَّرف إنك من نُميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلاباَ

[132] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، ط2، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1993، ص123.

[133] ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص101 .

أقبل الفرزدقُ على روايتِه فقال: غَضَّه واللهِ فلا يُجيبه أبدًا ولا يُفلِح بعدها. فلما بلغ إلى قوله:

بها بَرصٌ بجانبِ إسكَتَيهَا

وضع الفرزدقُ يدَه على فيه وغطَّى عَنفَقَته، فقال أبي:

كعَنْفَقَة الفرزدقِ حين شابَا.

فانصرف الفرزدقُ وهو يقول: اللهم اخزِه! والله لقد علمتُ حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا، ولكن طَمِعتُ ألاَّ يَأْبَهَ فغطَّيتُ وجهي، فما أغناني ذلك شيئًا."[134] حيث إن عملية تأويل الأقوال حسب "سبربر" و"ولسن" تتم عن طريق عمليات ذهنية يقوم بها المخاطب ضمن مجال التداول إذ:

- للفرزدق رأي سلبي حول صفات جرير(شرط تمهيدي).

- للفرزدق الحق في توجيه تقويمه لصفات جرير، وفقا لاتفاقهما على المناظرة(شرط تمهيدي).

- للفرزدق كفاءة لغوية وعلمية ومعرفية للحكم على صفات جرير(شرط تمهيدي).

باستحضار هذه الشروط عامة يتم تحديد الموقف القضوي للقائل لإتمام ما تم تبليغه نصا وذلك بالاعتماد على مبدأ المناسبة الذي يمثل أساس العمليات الاستدلالية في النظام المركزي للدماغ – كما أشار إلى ذلك فودور– ف "كل قول يولد لدى المخاطب

---

[134] أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، تحقيق وإشراف مجموعة من الأدباء، ط5، المجلّد الثامن، دار الثقافة، بيروت 1981، ص33-34.

انتظار المناسبة الخاصة به."[135] وتتفاعل عملية تحديد الشكل القضوي للقول ومحتواه القضوي بصورة سريعة، مما يمكّن المتلقي تصور ما يمكن أن يقوله المتكلم، قال صاحب الأغاني " أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: أقبل راكب من اليمامة، فمر بالفرزدق وهو جالس في المربد، فقال له: من أين أقبلتَ؟ قال: من اليمامة. فقال: هل رأيت ابن المراغة؟ قال نعم. قال: فأي شيء أحدث بعدي؟ فأنشده:

هاجَ الهوى لفؤادك المُهتاج

فقال الفرزدق:

فانظُر بتُوضِحَ باكِرَ الأحداجِ

فأنشده الرجل:

هذا هَوًى شغَف الفؤادَ مبرِّحٌ

فقال الفرزدق:

ونَوًى تَقاذَفُ غيرُ ذاتِ خِلاجِ

فأنشده الرجل:

إن الغــراب بما كرِهتَ لمُولعٌ

فقال الفرزدق:

---

135 آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، ط1، دار الطليعة، بيروت 2003 ، ص80 .

بِنـــوى الأحـــبَّةِ دائمُ التِّشحاجِ

فقال الرجل: هكذا والله، قال أفسمعتَها من غيري؟ قال: لا! ولكن هكذا ينبغي أن يقال؛ أو ما علمت أن شيطاننا واحد! ثم قال: أمَدَحَ بها الحَجَّاجَ؟ قال نعم. قال: إياه أراد."[136] فمن خلال هذا الخبر يمكننا أن نتصور أن جريرًا أيضا فهم قصد الفرزدق من خلال خطابه وذلك بسبب معرفتهما الجيدة ببعضهما البعض ومن ثمة ينحصر الموقف القضوي للقائل إذًا فيما يلي:

– الرفع من قيمة الذات والحط من قيمة الغير، سواء تعلق الأمر بالمتلقي المقصود بالخطاب(جرير)، أو بأقربائه.

إذا كان الفرزدق قد نظم خطابه عن رغبة، فإن جريرًا فعل ذلك عن غضب لما حققه خطاب الفرزدق من تفاعل وتأثير نفسي عليه، وتم ذلك بعد تحديد الموقف القضوي للقائل، مما لزم عليه الرد على هذا الخطاب، فالرّد يدل على أن التأثير قد حدث وأن الخبر قد حُل وفُهم. فيتحول جرير بذلك من وظيفته كمخاطَب إلى وظيفته كمتكلم، وفقا لقانون الفعل ورد الفعل، حسب ما يوضحه الشكل التالي:

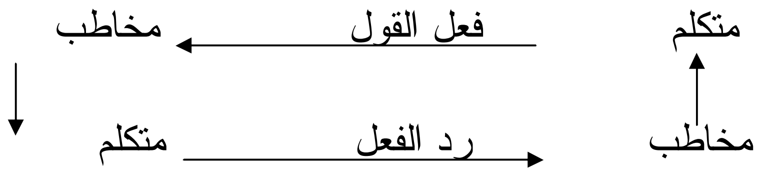

قد تبلغ المحاورة الشعرية في النقائض المرتبة الثالثة من مراتب الحوارية عند "طه عبد الرحمان" وهي مرتبة التحاور، حيث تستدعي هذه المرتبة أن تزدوج فيها الذات المتكلمة، إذ تقوم بدورين في الآن نفسه، ذات متكلمة وأخرى مستمعة. فقبل نقل الخبر إلى الغير تقوم الذات المتكلمة بتصور ردة فعل المخاطب تجاه كلامها فتصوغ على إثر ذلك

[136] أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، المجلد الثامن، ص 31– 32.

خطابها، فهذه المرتبة تنبني على قصد نقل الخبر والتأثير في الغير مع تصور ردة فعل الآخر اتجاه القول. وهي أعلى مراتب التفاعل الحواري[137]، حيث إن الأخبار التي أوردناها في ما سبق – إن صحت روايتها– قد تدل على ذلك . ونضيف في هذا المقام هذا الخبر "حكى أبو عبيدة معمر بن المثنى قال: خرج جرير والفرزدق مرتدفين على ناقة إلى هشام بن عبد الملك الأموي، وهو يومئذ بالرصافة فنزل جرير لقضاء حاجته فجعلت الناقة تتلفت فضربها الفرزدق وقال:

إلام تَلَــفَّتــين وأنت تحــتي وخــير النـــاس كلهم أمـــامي

متى ترد الرُصافة تستريحي من التهجير والدبــر الدوامـــي

ثم قال: الآن يجيئني جرير فأنشده البيتين فيقول:

تلفتُ، أنها تحت ابنـــي قين إلى الكــيرين والفأس الكهـــام

متى تَردِ الرصافة تَخْزَ فيها كخزيك في المـــواسم كلَ عام

قال، فجاء جرير والفرزدق يضحك، فقال: ما يضحكك يا أبا فراس؟ فأنشده البيتين الأولين، فأنشده جرير البيتين الآخرين، فقال الفرزدق: والله قلت هذا. فقال جرير: أما علمت أن شيطاننا واحد؟![138] فمغزى هذه القصة – حسب ما يراه أحمد الشايب – يفيد " أمرين: أولهما ما سماه وحدة الشيطان أو وحدة الروح الشعري من حيث فهمهما موقفيهما كل من الآخر، وكيف ينبغي أن يقال في كل حالة، لما مرَنا على القول وعرفا كيف يكون نقض المعاني بينهما، وهذا نجده بين المتجادلين والمتخاصمين الآن إذ يعرف

---

[137] ينظر، طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص58 وما بعدها.

[138] أبو العبّاس شمس الدين أحمد، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، د.ط، المجلّد الأول، دار الثقافة، بيروت، د. ت، ص322 .

كل ما يحتج به صاحبه عليه."[139] وهذا يدل أيضا على درجة التفاعل بين المتخاطبين والتفاعل تزاوج في القصد، والتكلم، والإستماع.

أدى التأويل الجيد للخطاب الأول إلى بناء خطاب جديد يناقض دعوى الخطاب الأول حيث استعمل جرير استراتيجيتين خطابيتين في العملية التخاطبية، وهما الاستراتيجية التضامنية والاستراتيجية التوجيهية، وهما استراتيجيتان افترضهما المقام التواصلي الذي كانا فيه. فهو في مقام من يحاول أن يدافع عن نفسه انطلاقا مما هو موجه إليه من كلام ما استدعى مقابلة الاستراتيجية الأولى للمناظر الأول (وهي الاستراتيجية التضامنية) باستراتيجية مناقضة لها وهي الاستراتيجية التوجيهية والاستراتيجية الثانية (الاستراتيجية التوجيهية) باستراتيجية مناقضة أيضا وهي الاستراتيجية التوجيهية، مما يقلب الأدوار في هذه العملية – كما ألمحنا إلى ذلك أعلاه –يقول جرير:

أخْزَى الذي سَمَــكَ السَّماءَ مُجاشِعًا وبَنى بنَاءكَ في الحَضِيضِ الأسْفَلِ

بــيتًا يُحَمِّــمُ قَيْــنُــكُمْ بــفِنــائِــهِ دنِسًــا مقاعِــدُهُ، خَــبيثَ المدخَلِ[140]

فالذي من قدرته الرفع، من قدرته أيضا الخزي و" المخزي في اللغة المُذلُ المحقُورُ بأمرٍ قد لزمه بحجة، وكذلك أخزيْته ألْزمته حجةً إذا أذللته بها. والخزيُ: الهَوان. وقد أخزاهُ الله أي أهانه الله."[141]وحجة جرير في هذا ما تتصف به مجاشع، فهم مشهورون بالحدادة، والحدادة عصرئذ هي مما يعير بها الإنسان لأنها تعد من الأعمال" وقد كان العربي يأنف دائما من العمل لأنه يسمه بالقعود عن الجلى والتلهي بكسب العيش دون

---

[139] أحمد الشايب، تاريخ النقائض، ص202.

[140] جرير، الديوان، ص 357

[141] ابن منظور، لسان العرب، ط1، المجلد الرابع عشر، 1990، ص226.

بطولة."[142] كما أن " القيانة (الحدادة) وسائر الصناعات إنما يقوم بها العبيد "[143]مما ينفي عن الفرزدق صفة الملوكية، ويبدو أن جريرا قد غلب الفرزدق في هذين البيتين، حيث يروى أن رجلا من بني نهشل يدعى الخضر كان يوما باليمامة باحثا عن غلامين له، فعندما كانت الأمطار أوى إلى بعض ديار بني حنيفة، وإذ بجارية جميلة تخرج إليه تسأله حاجته، فيجيبها أنه ضيف نزل عليهم، فسألته ممَّن الرجل؟ فأجابها: من بني حنظلة . ثم تُواصل السؤال قائلة : من أيّهم؟ فأجابها من بني نهشل، فقالت : أنت إذا ممن فخر بهم الفرزدق في قوله:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

(...) ففرح الرجل مما سمع من الجارية، فضحكت لذلك ثم قالت: إن ابن الخطفى (وقصدها جرير) قد هدم عليكم بيتكم هذا في قوله:

أخزى الذي رفع السماء مجاشعا وبنى بناءك في الحضيض الأسفل[144]

من الألفاظ المتصلة بالحدادة أيضا لفظ « القين » حيث أن جريرا " يتوسلها كالشتيمة وقد حملها على هذا المحمل لما يتقدمها ويلحق بها من معان مزرية، وأحيانا نراه يعزلها وكأنها غدت بذاتها تنطوي على دلالة الهجاء."[145] وكثيرا ما يذكر جرير في نقائضه أدوات الحدادة كالعلاة، والقدوم، والكير، والكلبتين، والحمم، والمرجل... الخ حيث يقول في هذا النموذج:

إنِّـــي بَنَى لِيَ في المَـــكارِمِ أوَّلـــي ونَفــخْتَ كيرَكَ في الـــزَّمانِ الأوَّلِ[146]

---

[142] إيليا الحاوي، فن الهجاء وتطوره عند العرب، د.ط، دار الثقافة، بيروت، د. ت، ص321 .

[143] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ص326 و ما بعدها؟

[144] ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، المجلد الثامن، ص 43-44.

[145] إيليا الحاوي، فن الهجاء وتطوره عند العرب، ص321 .

[146] جرير، الديوان، ص357.

أَلْهَـــى أباكَ عــن المكَارِمِ والعُلَى   ليُّ الكــتائف وارتــفاعُ المِــرْجَلِ[147]

إن الحجة التي أتى بها جرير يقينية مما أكسب هذا الخبر صدقا سواء تعلق الأمر بصدق اعتقاده به أو مطابقته للواقع، مما سمح له بالتمادي في استعمال الاستراتيجية التوجيهية ضد مناظره والتي تتجلى من خلال بعض الآليات اللغوية التي تعتبر عماد الخطاب، وأول هذه الآليات هو الاستعمال المتكرر لاسم مخَاطَبه، حيث تكررت لفظة الفرزدق في خطاب جرير بكثرة؛ فبإجراء عملية إحصائية نجد أنها تكررت احدى عشرة مرة في مجموع اثنين وستين بيتا، في حين نجد لفظة جرير تكررت في خطاب الفرزدق خمس مرات فقط. مع العلم أن مجموع أبيات قصيدة الفرزدق تبلغ مائة وأربعة أبيات، مما يجعلنا نردّ هذا الاستعمال لا إلى تجسيد الاستراتيجية التضامنية بأداة لغوية وهي استعمال اللقب بدل الاسم• وإنما يعود إلى الاستراتيجية التوجيهية، حيث أن لفظة "الفرزدق" تحمل دلالة أخرى، فهي لقب غلب على همّام بن غالب " وتفسيره: الرغيف الضخم الذي يجففه النساء للفتوت، وقيل: بل هو القطعة من العجين التي تبسط فيخبز منها الرغيف، وشبه وجهه بذلك، لأنه غليظا جهما."[148] فتأويل استعمال هذه اللفظة هو تعزيز للاستراتيجية التوجيهية.

ومن الآليات الأخرى التي تعزز هذه الاستراتيجية استعمال جرير لبعض الأفعال اللغوية التي يمكن أن تصنف ضمن الأفعال المقصودة بالقول، وهي أفعال يمكن أن تهدد الوجه الجالب للمرسل إليه حيث قام كل من براون BROWN وليفنسن LEVINSON بتصنيف الأفعال اللغوية إلى أفعال لغوية مهددة للوجه السلبي وأخرى مهددة للوجه

---

[147] م . ن، ص360.

• واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن حنظلة، بن زيد مناة بن تميم.

[148] أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط5، المجلّد الحادي والعشرون، دار الثقافة بيروت، 1981، ص299.

الإيجابي للمتخاطبين، وذلك بالاعتماد على مبدأ التواجه وهو مقابلة الوجه للوجه، من بين هذه الأفعال التقييمات السلبية لبعض أفعال المرسل إليه كالمعارضة والسخرية "إذ يعبر المرسل بهذا عن عدم حبه، أو عن عدم احترامه لبعض رغبات المرسل إليه، أو أفعاله أو خصاله الشخصية، أو قيمه."[149] حيث يصفه بالخبث في مثل قول جرير:

وَلَــدَتْ قُفيْرةُ قَــدْ عَلِمْتُــمْ خِبْثَةٌ بَعْــدَ المَشيبِ وبَــظْرُها كالمِنْجَلِ[150]

كما وصفه أيضا بالخصي وانعدام الفحولة فيه، وهذه تعتبر مذلة لأي رجل، فكيف يساوي نفسه بالسادة الكرام، وهو فاقد لكل معاني الرجولة. فجرير يعترض على أن يتسامى الفرزدق إلى مرتبة الكرماء والملوك. حيث يقول:

خَــصِيَ الفــرزدق والخِصاءُ مَذَلَّةٌ يرجــو مُخَــاطَرَة القُروم البــُزَلِ[151]

كما وصفه بالحقارة في قوله:

أبُــنَيَّ شِعــْرةَ، لَنْ تَسُــدَّ طَريقَنا بالأعْمَيَيْــنِ ولا قُفَيــْرَةَ فــازْحَلِ[152]

حيث أن عبارة (أبنيَ شعرة) تقال للرجل إذا أحتقر[153] كما نجد أيضا، في هذا البيت فعلا لغويا يهدد الوجه الدافع للمرسل إليه وهو فعل الأمر (فازحل) غرضه البلاغي التهديد.

[149] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص104.

[150] أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، ص 358 .

[151] جرير، الديوان، ص359.

[152] أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، ص 348.

[153] ينظر: م. ن، ص348.

من الأفعال التي تهدد الوجه الجالب للمرسل إليه أيضا " الأفعال التي تعبّر عن عدم اكتراث المرسل بوجه المرسل إليه الجالب "[154] ومن أمثلة ذلك تباهي المرسل بما يسره هو أمام المرسل إليه حيث يقول:

أعْـــدَدْتُ للشّـــُعراء ســـمًّا نـــاقـــعا فسقَيْـــتُ آخِـــرهُمْ بكَـــأْسِ الأوّلِ[155]

وذلك ردا على افتخار الفرزدق بملكته الشعرية وبالشعراء الذين ورث عنهم الشعر ببيت شعر واحد جامع مانع هجا به كل الشعراء، سواء منهم المذكورون في بيت الفرزدق أو غير المذكورين. فكلمة (الشعراء) كلمة مبهمة لا يقتصر مدلولها على فرد بعينه بل تحيل على جماعة من الأفراد يشتركون في هذه الحقيقة وهي (قول الشعر) . وقد يكون هذا التعميم مناسبا لهذا المقام حيث يفتح مجالا واسعا للتأويلات فيحاول المتكلم بذلك التملص من المعنى، فيرفع عن نفسه مسؤولية قوله في حال التصريح.

كيف لا يفتخر جرير بشعره وهو الشاعر الذي اجتمع حوله ثمانون شاعرا وتغلب عليهم جميعا بهجائه. زد على ذلك أنه شاعر ما عرف أنه سرق يوما بيتا شعريا، بعكس الفرزدق الذي عُرف عنه سرقته لشعر غيره يقول الأصفهاني " أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا الرياشي قال:

كان الفرزدق مهيبا تخافه الشعراء، فمر يوماً بالشمردل وهو ينشد قصيدته، حتى بلغ إلى قوله:

وما بين من لم يعط سمعا وطاعة وبين تميم غير حز الغلاصم

[154] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص104.

[155] جرير الديوان، ص357.

قال: وﷲ لتتركن هذا البيت أو لتتركن عرضك، قال: خذه على كره مني ، فهو في قصيدة الفرزدق التي أولها:

تحنَ بزوراء المدينة ناقتي حنين عجول تتبع البوء رايم

قال: وكان الفرزدق يقول: خير السرقة ما لا يجب فيه القطع، يعني سرقة الشعر."[156]

يُدفع المرء أحيانا إلى الكذب وارتكاب الخطأ، حتى ولو كان عفيفا نقيا، ويحدث ذلك إن أساء إليه الغير، ووُجِب أن يردّ عليه بالمثل، وإن كان الله عزّ وجل قد نهى عن ذلك في قوله ﴿ ولا تزرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخرى ﴾ [157]. فجرير رغم ما قيل عن عفته و تديّنه مقارنة بالفرزدق الخارج عن العرف والدين، إلاّ أنه في نقائضه بدا عكس ذلك. ومردّ ذلك يعود إلى مبدأ النّقض في المناظرة، حيث يفرض عليه أن يكون في مقام خاص يحتم عليه نقض كل معاني خصمه، وأن يجاريه فيها حتى ولو خرج هذا الخصم عن المبادئ الأخلاقية. فإذا كان الفرزدق قد أساء إلى شرف والدة جرير وعيّره بها واتّهمها بالّزنى وإتيان الأتن في قوله:

يَبْــكي عــلى دِمــَنِ الدِّيارِ وأُمّــُهُ تعلو على كَمرِ العَبيــدِ وتَسْفُلُ

كَسَــرَتْ ثنيَّتــَكَ الأتــانُ فشاهِــدٌ مِنْها بــفيكَ مُــبيَّنٌ مُــسْتَقْبــَلُ

رمَحَتْكَ حينَ عَــجِلْتَ قَبْــلَ وداقِها لكِــنْ أبــوكَ وَداقَــها لا يَعْجَلُ

جاؤوا بِحِقَّــةَ مُفْرِميــنَ عجانَــها يَحْدُو الأتــانَ بها أجيرٌ مــرْحَلُ

---

[156] أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، ص351.

[157] سورة الأنعام ، الآية 164 .

وقَفَتْ لِتَرْجُرَني فقُلْتُ لَها: ابــرُكي   يا حِقٌّ أنتِ ومــا جَمَعْتِ الأسْفَلُ

وكَشَفْتُ عَنْ أيْري لَهَا فتجَحْدلــتْ   وكَذاكَ صاحبةُ الــوِداقِ تَجَحْدَلُ

لَــقِيتْ أخــا نَــعْظٍ لهــا مُتَبــذِّلاً   وأخــو المــُفاضَحَةِ الَّــذي يَتَبَذَّلُ

وتَرَكْتُ أُمّــَكَ يا جــَريرُ كــأنــَّها   لِلنّـــاسِ بـــارِكَةً طــريقٌ مُعْمــَلُ[158]

فإن جرير لزم عليه أن يردّ الإساءة بالإساءة، حيث بالمقابل عيّر الفرزدق بأخته جِعْثِنَ وقال فيها ما يسيء لسمعتها لحادث حدث لها، حيث " نسب ذلك إلى فتيان من مقاعس إذ استخرجوها من خبائها ثم سحبوها ليسمِّعوا بها "[159] و قد صورها جرير في أقبح صورة قائلا فيها:

وأفـــاكَ غَدْرُكَ بالزُّبيْرِ عــلى مِنًى   ومجَــرُّ جِــعْثِنِكُمْ بــذاتِ الحَرْمَلِ

بـــاتَ الفــرَزْدَقُ يَسْتَجِيرُ لــنَفْسِهِ   وعِجانُ جِعْــثِنَ كالــطَّرِيقِ المُعْمَلِ

أيْــنَ الَّذينَ عَدَدْتَ أن لا يُدْرِكــوا   بِمَجَرِّ جِعْثِــنَ يــابْنَ ذَاتِ الدُّمَّــلِ؟

أَسْلَــمْتَ جِعْثــنَ إِذْ يُــجُّر بِرجْلِهَا   والمِنْقَــرِيُّ يَــدوسُها بالمِــنْشَــلِ

تَهْوِي استُها وتَقولُ: يــالَ مجاشِعٍ   ومَشَــقُّ نُقبــتِها كــعَيْنِ الأقْبــَلِ[160]

---

[158] أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، ص 320-323

[159] أحمد الشايب، تاريخ النقائض، ص274 .

[160] أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير و الفرزدق، ص 347-348 .

غير أن جريرا بالغ في هذا الحدث، لأن جعثن لم يطأها أي فتى من فتيان مقاعس فهذا الخبر وإن كان فيه بعض من الصدق، لإحالته على واقعة حقيقية، إلا إن المبالغة فيه جعله كاذبا. فالخبر إن زاد شيئا عن حقيقته تحوّل إلى كذب. كما أن صور الفحش الواردة في النقائض كانت لإثارة الضحك وسط الناس يقول جرير: "إذا هجوت فأضْحِكْ"[161]. وفي نفس السياق يقول الفرزدق:

ألا تدّعي إن كان قومُكَ لمْ تَجِدْ   كريمًا لَهُمْ إلاّ لئيــمًا أوائِــلُهْ؟

ألا تَفْتَري إذْ لَمْ تَجِدْ لَكَ مَفْخَرًا؟   ألا رُبَّمَا يَجْري مَعَ الحَقِّ باطِلُهْ

فتَحْمَدَ ما فيهِمْ ولَوْ كُنْتَ كاذِبًا   فَيَسْمَعَهُ يابْنَ المراغَـــةِ جاهِلُهْ[162]

إن جريرا لم يترك صفة سيئة إلا ووصف بها الفرزدق لأن " الشعر الهجائي العميق لا يتولد إلا بعد أن يختمر في ضمير النفس، في بئرها المظلمة، حيث يتفاعل ويتداخل وتتولد فيه أنشوطة متعصية من أحوال الكراهية والمقت والعاهة."[163] فابن السبعة أشهر يشعر دائما بالنقص، كارها القدر الذي لم يكن منصفا معه فهو خامل الأجداد، عاش حياة فقر وعوز وكان هذا الفقر "سبيلا له إلى الإلحاف بالطلب، يتوسل له المدح حينا والهجاء أحيانا وينخرط في التراث العصبي بين القبائل ...ولعله إذا كان يضاعف من فحشه في الهجاء إنما كان يضاعف من التحظي والاسعاف، لقد كان يرتزق بهجائه ويكسب عيشه."[164] نستطيع أن نلخص المسار التفاعلي للمناظرة وفق المخطط التالي:

---

[161] أبو عمر أحمد بن محمّد بن عبد ربه، العقد الفريد، شرح وضبط وتصحيح: أحمد أمين وزملاؤه، د.ط، ج5، 1983 ص300.

[162] أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، ج2، ص294.

[163] محمد محمد حسين، الهجاء والهجاءون، ص83.

[164] م. ن ، ص291.

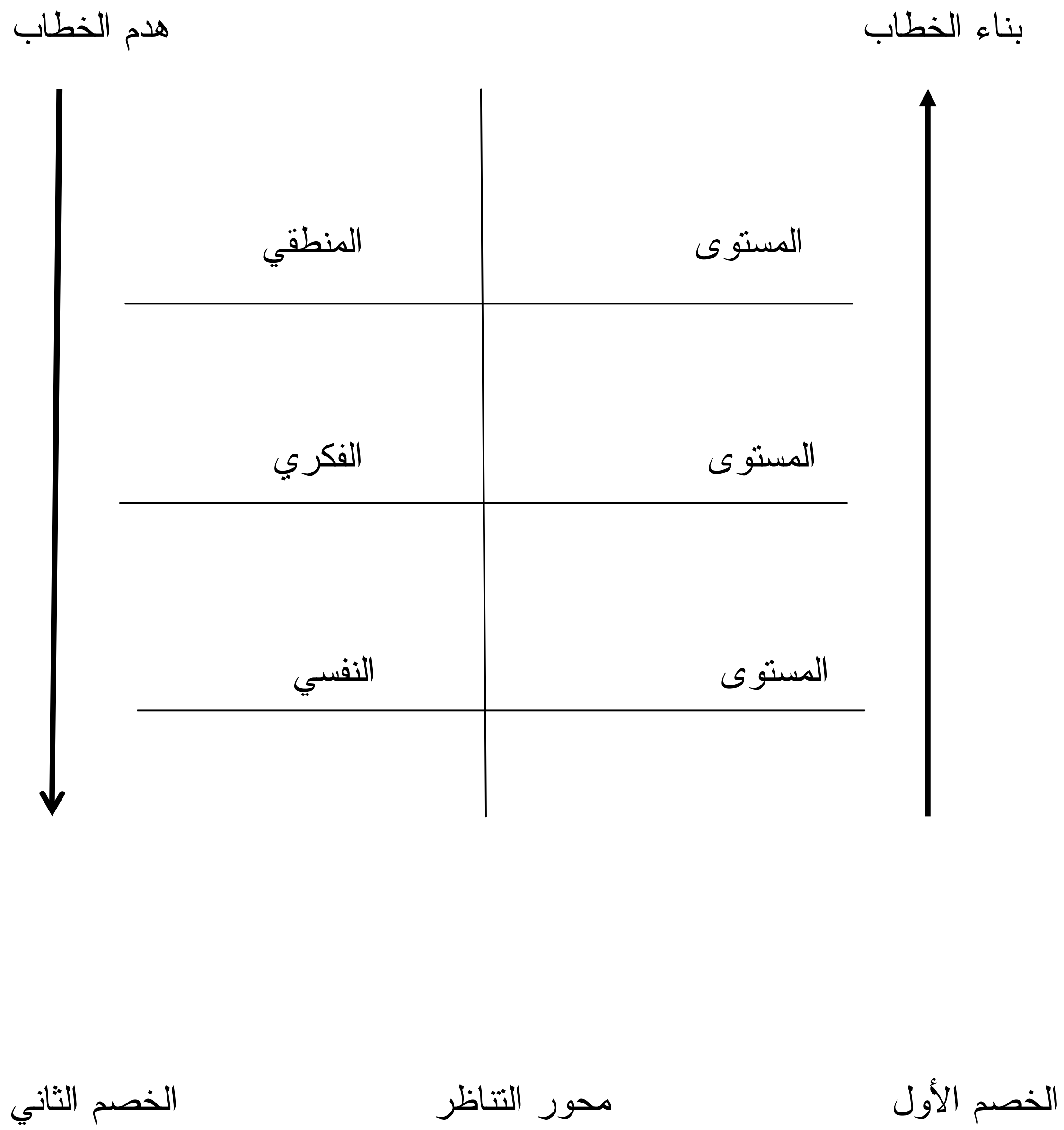
بناء الخطاب
هدم الخطاب
المستوى
المنطقي
المستوى
الفكري
المستوى
النفسي
الخصم الأول
محور التناظر
الخصم الثاني

نستنتج من هذا المخطط، ومن المسار التفاعلي للمناظرة ما يلي:

نسجل على المستوى الأفقي تساوي الفرص بين المتخاطبين والذي يظهر على ثلاثة مستويات:

- المستوى النفسي: كل متناظر عبّر عن مقصديته، وهي الحالات النفسية التي تسبق العملية الإبداعية.
- المستوى الفكري: كل متناظر عبَّر عن اعتقاداته وإن كانت متساوية في القوة فإنّها مختلفة في الاتجاه.
- المستوى المنطقي: كلا المتناظرين استند في ادعاءاته إلى أدلة وبراهين.

أما على المستوى العمودي، فهذا المخطط يظهر لنا عمليتي البناء والهدم في المناظرة، فالمتكلم ينطلق من الحالات النفسية والمقاصد الخطابية في بناء نصه و تحميله اعتقاداته، مستغلا في ذلك المستوى المنطقي بإعطاء الحجج والبراهين في حين يتبّع المخاطَب مسارا عكسيا، فهو يحلل البراهين والأدلة ليصل إلى معتقدات المتكلم مما يُحدث خللا في توازنه النفسي فيردّ على الخطاب متبعا في ذلك خطوات المتكلم نفسها.

في النهاية بقي علينا أن نفسر نقطة ربما تشغل القارئ المتتبع لمسار هذه المناظرة والمتمثلة في أسباب نجاحها، رغم خرق مستواها التهذيبي والتعاملي؟

إن أية مناظرة لا بد أن تؤول إلى نهاية معينة، وتكون عادة باقتناع أحد الطرفين برأي الطرف الآخر. وفي الغالب يكون في المناظرة طرف ثالث تخوَّل إليه مهام الحكم بين الطرفين المتناظرين، وهذا ما هو حاصل في النقائض. غير أن الحكَم في هذه المناظرات متعدد ومتنوع ومختلف. أما التعدد فيعود إلى كثرة الحكام الذين يُحتَكم إليهم

وأما التنوع فهذا راجع إلى طبيعة كل حكم وثقافته، فمنهم الرواة[165]، الحكام والأمراء[166] الشعراء[167]...الخ (وهو ما أطلقنا عليهم في بداية هذا الفصل بالمتلقي الخاص). أما الاختلاف فيعود إلى اختلاف هؤلاء في تفضيل أحد الشاعرين على الآخر. فمما نقله لنا صاحب الأغاني قوله: " أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدثنا المدائنيّ عن أبي عبد الرحمان عن عبد الله بن عيَّاش الهمذانيّ قال:

بَينا المهَّلبُ ذاتَ يوم أو ليلةٍ بفارسَ وهو يقاتل الأزارِقةَ إذ سمع في عسكره جَلَبَةً وصياحاً؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: جماعةٌ من العرب **تحاكموا** إليكَ في شيء. فأذِن لهم فقالوا: إنَّا اختلفنا في جرير والفرزدق؛ فكلَ فريقٍ منَّا **يزعُم** أنّ أحدهما أشعرُ من الآخر، وقد رضينا **بحكم** الأمير. فقال كأنَّكم أردتم أن تعرِّضوني لهذين الكلبين فيمزِّقا جلدتي**!** لا **أحكم** بينهما، ولكنّي أدلُّكم على من يهون عليه سِبالُ جرير وسِبال الفرزدق، عليكم بالأزَارقة."[168] فحكم عُبَيْدة بن هلال اليشكُريّ لجرير.

نفهم من خلال هذا الخبر أن الحكَم، وإن كان يمتلك الكفاءة المعرفية والسلطة، إلا أنه لا يستطيع أن يكون موضوعيا في حكمه، وذلك دفعا لأي ضرر يمكنه أن يأتيه من أحد الشاعرين. غير أن للحُكام، كسلطة مادية، تأثيرا على الحكَام الآخرين، كأشخاص يُحتكم إليهم في تفضيل أحد الشاعرين على الآخر، من أمثلة ذلك ما قام به بشر بن مروان حين بعث محمد بن عُمَير بن عطارد المجاشعي إلى الأخطل حاملا معه بألف درهم وبغلة وكسوة وخمر، كي يحكم للفرزدق على جرير.[169] ويبدو أن تلك كانت وسيلة الحكام الأمويين في تثبيت سلطتهم، حيث اتخذوا المال وسيلة لتثبيت عرشهم فأغرقوا على خصومهم تخفيفا لنقمتهم وعلى أنصارهم استبقاء لمعونتهم ووجدوا طائفة من الشعراء تؤيدهم في ذلك رغبة في العطاء ورهبة من العقاب.

رغم هذه الأحكام غير الموضوعية في تفضيل الشاعرين أحدهما على الآخر إلا أن هنالك من النقاد من كان موضوعيا في أحكامه، فأغلبهم اتفق على أن لكل شاعر غرضا يجيده مقارنة

---

[165] من أمثلة ذلك موازنة حماد الراوية بين جرير والفرزدق، ينظر، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ص35.

[166] من أمثلة ذلك موازنة بشر بن مروان بين جرير والفرزدق، ينظر، المصدر نفسه، ص ص 35-36.

[167] من أمثلة ذلك موازنة بشار العقيلي بين جرير والفرزدق والأخطل ، ينظر، المصدر نفسه، ص59.

[168] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، المجلد الثامن، ص41.

[169] ينظر، أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ص207.

بالأغراض الأخرى، فقد كان جرير " مقدما في النسيب والهجاء المتصلين بالنقائض، أما الفرزدق فامتاز بالفخر في هذا الباب."[170] لذلك يتساوى المتناظران في هذه المناظرة.

[170] م. ن، ص231.

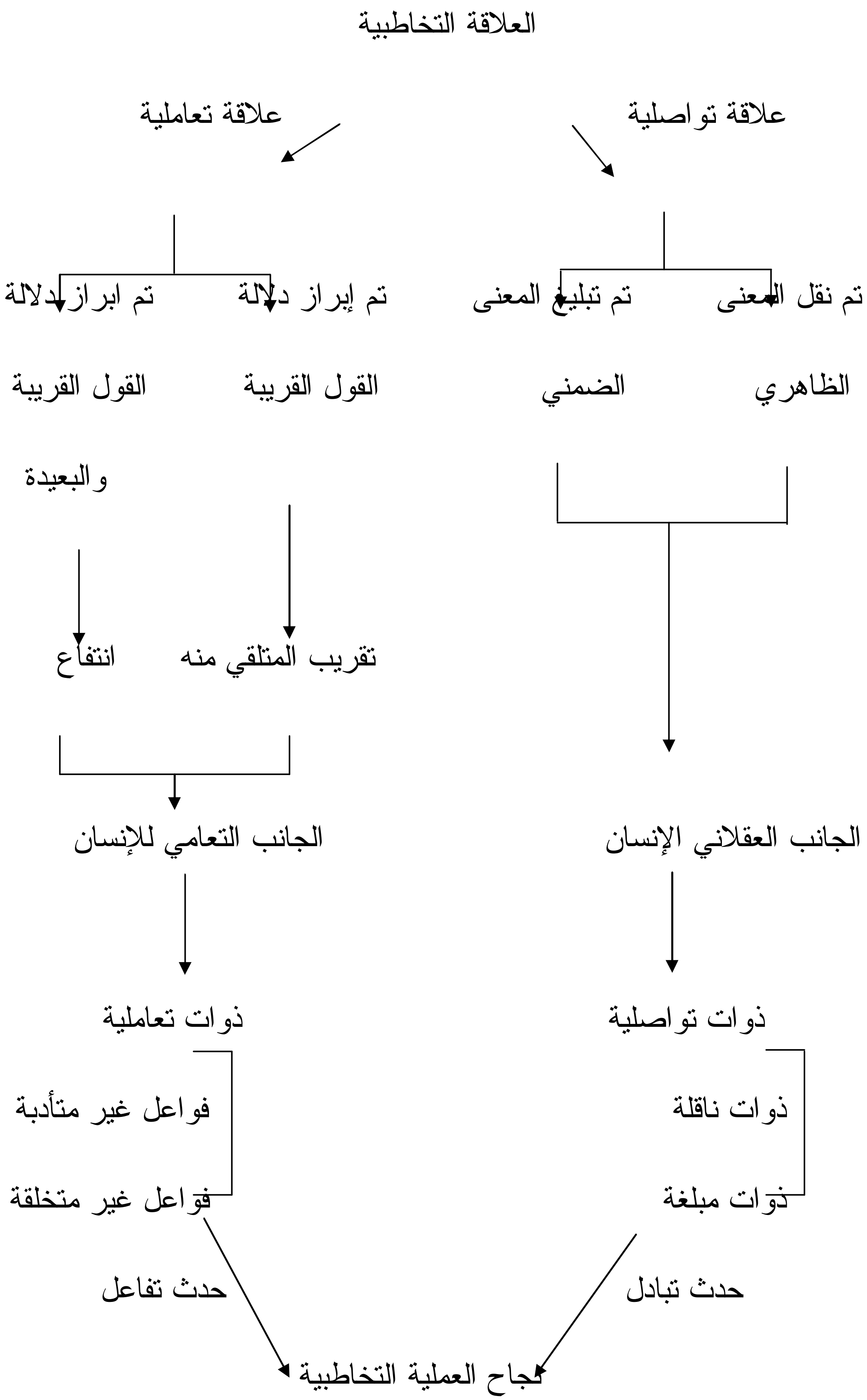
العلاقة التخاطبية
علاقة تواصلية
علاقة تعاملية
تم نقل المعنى
الظاهري
تم تبليغ المعنى
الضمني
تم إبراز دلالة
القول القريبة
تم ابراز دلالة
القول القريبة
والبعيدة
تقريب المتلقي منه
انتفاع
الجانب العقلاني الإنسان
الجانب التعامي للإنسان
ذوات تواصلية
ذوات ناقلة
ذوات مبلغة
ذوات تعاملية
فواعل غير متأدبة
فواعل غير متخلقة
حدث تبادل
حدث تفاعل
نجاح العملية التخاطبية

نستنتج من هذا الفصل أن التفاعل الحقيقي للمناظرة حدث انطلاقا من هذا التبادل في الأدوار بين المتكلم والمستمع، ومناقضة أحدهما كلام الآخر، وهذا ما أدى إلى توالد النصوص من بعضها. ومما زاد هذه المناظرة تفاعلا معرفة المتناظرين كل منهما الآخر معرفة جيدة إلى درجة ارتقائها إلى مرتبة التحاور. زد على ذلك أن هذه المناظرة لها عدة معينات في انتاجها أهمها هذا المتلقي المتعدد والمتنوع الذي أثّر في مسارها.

أما عن العلاقة التعاملية فإنها أخذت بعدا آخر، فقد اتجهت وجهة سلبية، وهذا الاتجاه السلبي لها لم يمنعها من تحقيق الهدف النّفعي منها، والمتمثل في اجتلاب نفع ودفع ضرر، ويعود ذلك، بالدرجة الأولى، إلى الهدف الأساس من المناظرة والذي يتمثل في تنمية القدرة اللغوية لدى الشاعرين، إلى جانب التسلية والترفيه. إضافة إلى طبيعة الخطاب الشعري الذي يعتمد على الكذب، لذلك امتنع تطبيق القانون التهذيبي والتعاملي الذي صاغه "طه عبد الرحمان" على الشعر، لأنه في موضع الجدّ وجدنا جريرا رثى الفرزدق عند وفاته فقال: " أما والله إني لأعلم أني قليلُ البقاء بعده، ولقد كان نجمُنا واحداً وكل واحد منا مشغول بصاحبه، وقلَّما مات ضدٌّ أو صديق إلا تبعه صاحبه."[171] فمات جرير بعد سنة من وفاة الفرزدق.

---

[171] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، المجلد الثامن، ص88.

الفـــصــــــل الثـــــانـــــي

تجليـــات العلاقـــة الاستدلالية

1 – آليات الادعاء.

2 – آليات الاعتراض.

3 – الوسائل البلاغية ودورها الحجاجي.

1– الاستعارة.

2– التشبيه.

تقديم

إن الخاصية التكوثرية للخطاب تجعله يستوعب عمليات تخاطبية متنوعة، بل وعمليات استدلالية أيضا. فالخطاب الحجاجي بالإضافة إلى علاقاته التخاطبية يتميز بتوظيف مجموعة من الآليات والتقنيات الحجاجية، بعضها تشترك فيه العلوم الأخرى كالرياضيات، والمنطق، واللسانيات...الخ، وبعضها الآخر خاص يتحدد من الإطار الخارجي الموجّه للعمليات الاستدلالية، كالسياق الخارجي (المركز الإشاري). لذلك يمكن أن يتخذ أي نص حجاجي طابعه الخاص إنطلاقا من هذه المحددات السياقية ف " تكون الحاجة في كل مناسبة قولية إلى ابتكار تقنيات جديدة تلائم طبيعة الخطاب الحجاجي تراعي الترابط الضروري لطبيعة الاستدلال الذي يقود القول الحجاجي من الأسباب إلى المقدمات إلى النتائج بهدف تحقيق غايته المرسومة."[172]

وقد يتساءل متسائل عن أسباب استمرار المناظرة بين الطرفين رغم خرق قاعدة من قواعد المناظرة والمتمثلة في القاعدة الأخلاقية؟ فذلك راجع، إضافة إلى ما قلناه في الفصل الأول، إلى أن العلاقة الاستدلالية هي علاقة أصلية في الخطاب، ينبني عليها غيرها ولا تنبني على غيرها. ذلك ما أثبته "طه عبد الرحمان" حين أكّد أن الحجاج هو الأصل في الخطاب وأن سبب تكوثره هو صفته الحجاجية فلا خطاب بغير حجاج، لذلك سنحاول في هذا الفصل دراسة الآليات الحجاجية التي تساعد على تشكيل هذه الخطابات وتكوثرها بالاستناد إلى الأفعال الرئيسة فيه وهي: الادعاء، والتدليل، والاعتراض.

وسندرس، إضافة إلى ذلك، البعد الحجاجي للآليات المجازية، محاولين دراسة حوارية الاستعارة وحجاجيتها من خلال مثال مأخوذ من خطاب الفرزدق. معتمدين في

172 عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ط1، إفريقيا الشرق المغرب، 2006، ص 136 .

ذلك على جهود الباحث "طه عبد الرحمان" وما توصل إليه أثناء دراسته الوجه الحجاجي للاستعارة. كما سندرس أيضا الوجه الحجاجي للتشبيه الذي يلعب دورا أساسا في هذه العملية.

1-آليات الادعاء

ينتقد "فيليب بريتون" في كتابه الحجاج و التواصل L'argumentation dans la communication المخطط التواصلي التقليدي (المرسل – الرسالة – المرسل إليه). فإذا كان هذا المخطط يؤدي غرضه في حالة العملية التواصلية، فإنه يبقى مع ذلك في العملية الحجاجية ناقصا، فالفرق يكمن – في نظره – في كون العملية الأولى تعتمد على توصيل الأخبار، في حين تعتمد العملية الثانية على مطالبة الغير مشاركتنا الرأي بتجاوز عملية الإبلاغ والنقل إلى التأثير و التبليغ. ففي حين تكون المعلومة يقينية (كما في الحالة الأولى)، فإن الرأي يبقى احتماليا (كما في الحالة الثانية)، وينظر إليه من وجهات نظر متعددة. لذلك حاول اقتراح مخطط آخر – وهو ما يسميه بالمثلث الحجاجي – Le triangle argumentatif – حيث يكون فيه المرسل "عارضا"، والمرسل إليه "معروضا عليه"، واستبدال الرسالة ب "الرأي"* الذي يحتاج في حالة عرضه على الغير إلى دعم يكون بحجج قابلة للدحض حسب ما هو ممثل في هذا الشكل.

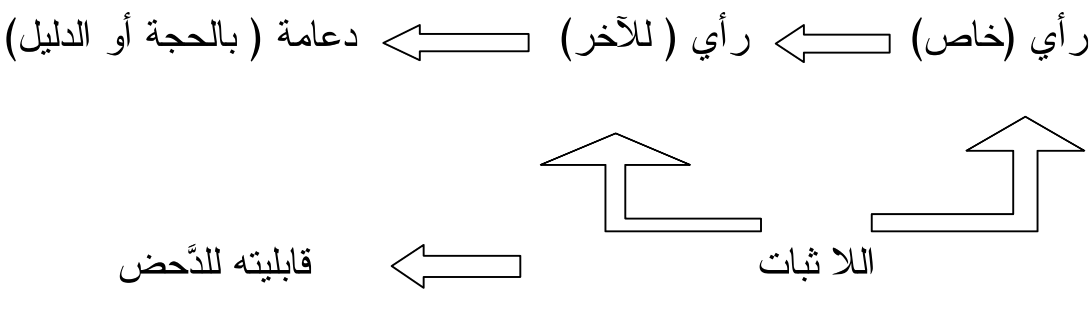

---

* الرأي بالنسبة لبريتون مجموعة من الاعتقادات والقيم والتمثلات التي يكونها الإنسان حول العالم، والتي يمكن أن تشكل شخصيته. ينظر: Philipe Breton, op.Cit, p24.

وقد عبرَّ عن ذلك في تساؤله التالي: " لماذا يجب أن نفرق بين ما نفكر فيه وما نقوله بين الرأي والحجة؟ وهل هنالك تفاوت بين هذين المستويين."[173] ويقدم ذلك وفق المخطط التالي[174]:

[173] : Voir :Philipe Breton, op. Cit, p. 19-20
[174] : Ibid., p 34

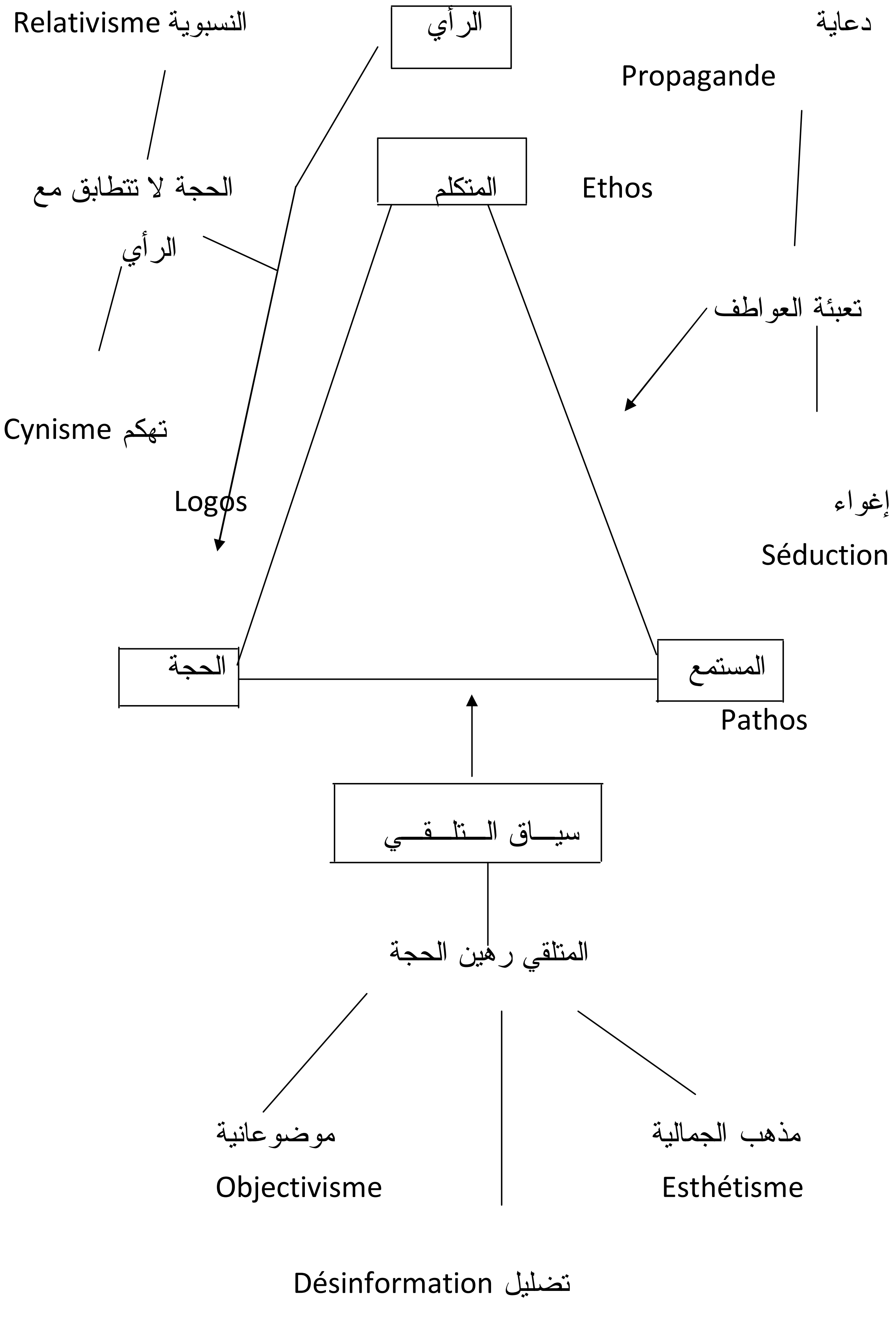
Relativisme النسبوية
الرأي
دعاية
Propagande
الحجة لا تتطابق مع
الرأي
المتكلم
Ethos
تعبئة العواطف
Cynisme تهكم
Logos
إغواء
Séduction
الحجة
المستمع
Pathos
سيـــاق الـــتلـــقـــي
المتلقي رهين الحجة
موضوعانية
Objectivisme
مذهب الجمالية
Esthétisme
Désinformation تضليل

من جهته يرى "طه عبد الرحمان" أن الذوات في العلاقة الاستدلالية ترتقي إلى مقامات أخرى، حيث يرتقي المتكلم إلى مقام " المدعي " والمخاطب إلى مقام "المعترض". ولا تتوقف وظيفة المتكلم في مجرد توجيه كلامه للغير لإفهامه معنى مخصوصا – كما في العلاقة التخاطبية– وإنّما تتحول وظيفته إلى وظيفة تأثيرية "فاللغة ما لم تنقل إلى الغير ما يحمله على الحركة، فلا عمل تحتها"[175] لأن حقيقة الخطاب لا تتوقف عند حد التوجه والإفهام، وإنّما يتجاوزهما إلى قصدين آخرين هما " قصد الادعاء " و" قصد الاعتراض". فالاعتقادية التي هي من شروط الحوارية تُلزم المدعي تقديم حجج على ما يدعيه أو يعتقده، وإلا كان ذلك إما نقلا لقول غيره فلا يلزمه ذلك الاستدلال عليه، أو كاذبا فيكون عابثا باعتقاد غيره. كما يجيز للمعترض حق مطالبة المدعي التدليل على دعاويه[176] فـ" البيّنة على المدعي و اليمين على من أنكر."[177]

وعلى غرار ما ذهب إليه بريتون أجرى "طه عبد الرحمان" تفريقا بين الدليل والرأي، فمن الدلالات التي أعطاها للرأي الدلالة المنطقية العامة ويستعملها القائل ليفتح به خطابه استعدادا للتدليل عليه وهو ما يسمى ب « الدعوى ». نستطيع تحويل مخطط العلاقة الاستدلالية السابق إلى المخطط التالي:

---

[175] طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص248 .

[176] ينظر، طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 225 .

[177] التفتازاني، شرح العقائد النسفية في أصول الدين وعلم الكلام، د.ط، حققه : كلود سلامة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1974، ص 17.

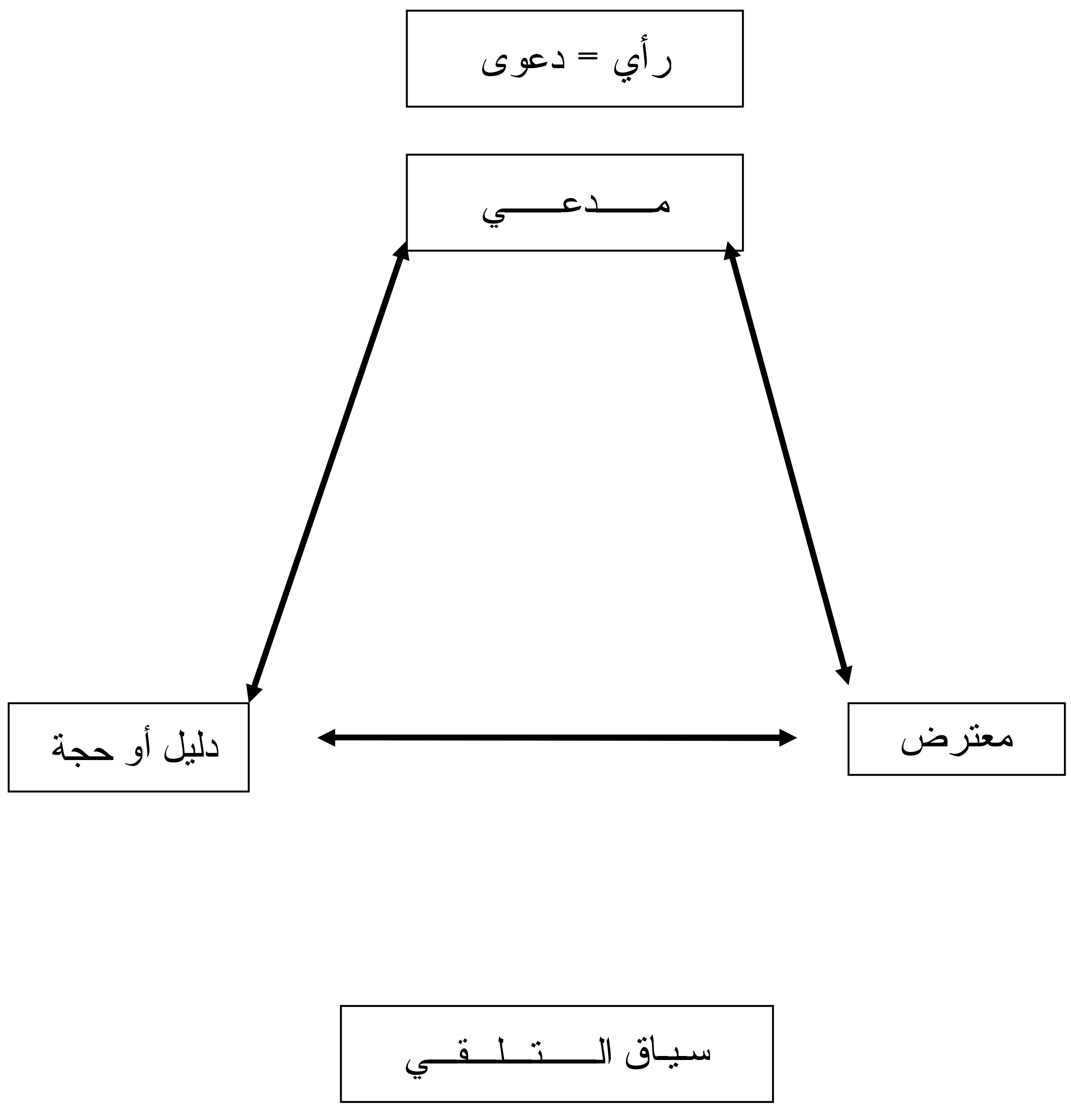
رأي = دعوى
مـــــدعــــــي
دليل أو حجة
معترض
سـيـاق الـــــتــلــقـــي

إن تطور منظور الباحثين، مثلما يرى ذلك مسعود صحراوي، إلى اللغة من كونها نظاما من الأدلة اللغوية إلى كونها أصبحت فعلا يمكن للإنسان أن يغير بها العالم المحيط به، أدى بالباحث "طه عبد الرحمان" إلى اعتبار " الادعاء " و" الاعتراض " و" التدليل " أفعالا لغوية إنشائية، لما لها من إثارة أفعال وردود أفعال .

فالادعاء شرط من شروط المناظرة، بل هو قوامها والمبدأ الأساسي فيها. حيث لا يمكن للمدعي أن يدخل في مناظرة دون أن يكون له موضوع يجادل فيه، ويحاول إقناع الآخرين به. حيث يكون هذا الموضوع بمثابة دعوى يصدقها ويحاول بكل الطرق الاستدلالية إقناع خصمه التصديق بها أو الاعتراض على صدقها، إذ من شروط الادعاء:[178]

– أن يعتقد " المدعي " صدق ما يدعيه، لكن تصديقه له لا يعني صدقه المطلق فالاعتقاد يعبر عن رأي المتكلم الذي ينتمي إلى المجال المحتمل للصدق و الكذب. ويتعلق الأمر: بأطروحة، بفكرة ما، بمعتقد ديني، بوجهة نظر معينة. وهذا الرأي هو الذي تتأسس عليه الحجج في حالة عرضه على الغير، ولا يتم الإقناع فيه بالقوة.

– أن يطالب " المدعي" المعترض تصديق ما يدعيه بمشاركته رأيه.

– أن يكون " للمدعي" بينة (أو دليل أو حجة) أو بينات على ما يدعي، وتعرض هذه البينات كتابيا (بواسطة كلمة، رسالة، كتاب، رسالة معلوماتية)، أو مشافهة بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة(الإذاعة، الهاتف، الرواية)، أو عن طريق الصورة.

– أن يكون للمعترض حق المطالبة بالبينات و تقويمها.

– أن يكون منطوق الادعاء صادقا، ومفهومه قابلا للتكذيب.

---

[178] ينظر: طه عبد الرحمان، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، ص 75-76.

إن الانسان ابن مجتمعه- كما يقول علماء الاجتماع- فمجمل أفكاره، وعاداته ومعتقداته نسخة مما هو سائد فيه، و" الثقافة من حيث هي تعبير فكري وأدبي انعكاس للعمل الإجتماعي و مظهر لما في هذا العمل من علاقات و أسباب وجهود مبذولة"[179]. لذلك كانت المواضيع التي تدور حولها نقائض جرير والفرزدق انعكاسا لما كان سائدا في العصر الأموي، بل هي امتداد لما كان سائدا في العصر الجاهلي. فالعربي البدوي في هذه الفترة كان يعتز بأمرين اثنين يصنعان عزّ كل قبيلة وهما : " الحسب والنسب" و"الملكة الشعرية" المعتمدة بطبيعة الحال على المعرفة الجيدة باللغة (نحوا وتركيبا ودلالة). حتى أخذ الأدب مفهومه كما أورده " ابن خلدون" في مقدمته، حيث يرى أن " المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور، على أساليب العرب ومناحيهم؛ فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة، من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الإجادة ومسائل من اللغة و النحو، مبثوثة أثناء ذلك متفرقة، يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية، مع ذكر أيام العرب، يفهم به ما يقع في أشعارهم منها. وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة... ثم إنهم إذا أرادوا حد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف"[180] لأجل ذلك ركّز الفرزدق باعتباره المدعي في هذه المناظرة على هذه الثنائية التي تتمحور حولها كافة الأدلة النصية.

قلنا سابقا- في الفصل الأول- إن الموضوع الذي تدور حوله المناظرة معروف سلفا بالاتفاق بين الطرفين، وهو مناقضة أحدهما الآخر قوله- وهذا ما تستدعيه المناظرة كمنهج- والنقائض في حقيقتها حاملة غرضين مهيمنين على الأغراض الأخرى، هما : الفخر والهجاء، وهما غرضان متناقضان يستدعي أولهما وضع الذات المتكلمة في أعلى

---

[179] محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص 122 .

[180] عبد الرحمان، ابن خلدون، المقدمة، ط3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967، ص1057.

السلّم الاجتماعي والثاني وضع الذات المخاطبَة في أدنى هذا السلم. فالفخر بالذات يتضمن في الوقت نفسه تهميش الآخر في لحظة التلفظ بالخطاب "ويكفي حجاجا أنّ الفخر هو مناط الحجاج هنا، إذ يضع الشاعر نفسه في أعلى السلم الحجاجيّ؛ لأنّ التلفظ بالأنا يخفي الآخر، سواء أكان التلفّظ ظاهرا أم مخبوءًا بالتلميح إليها في الخطاب"[181] يقول الفرزدق مباشرا في طرح موضوعه:

إنّ الـــذي سَـــمكَ السَّماءَ بَنـــى لَنَا — بـــيتًا، دَعَـــائِمُـــه أعَـــزُّ وأطْـــولُ

بَيْـــتا بـــنَاهُ لَنَا المَلِيكُ، وَمَـــا بَـــنَى — حكَـــمُ السّمَـــاءِ، فـــإنّـــهُ لا يُـــنْقَلُ

إذ تجلى الحجاج في هذا المقطع عبر السلّم المفهومي، فأشار " الفرزدق " إلى أن بيته- والذي يدلّ هنا على النّسب العريق لعائلته- أعلى البيوت، حيث وضعه في أعلى السلم. وأن هذا الموقع لا يمكن لأحد أن يزيحه عنه معلِّلا ذلك بأن الذي بناه له هو"الله" سبحانه وتعالى، الذي عبّر عنه بثلاث صيغ مجازية تراتبية: أولها قوله(سامك السماء) التي تعني رافعها بالدرجة الأولى، وخالقها بالدرجة الثانية- خاصة إذا عرفنا أن أول ما خلقه الله في هذا الكون حسبما تشير إليه بعض التفاسير هي السماء- فينتج عن هذا الملفوظ أن الله خالق السماء ورافعها جعل نسب المدعي(وهو الفرزدق) أعرق وأطول نسب.

ثم أردف بهذه الصيغة صيغة أخرى تقع تحتها وهي قوله(المليك)، وجاءت على وزن " فعيل" وهي صفة مشبهة دالة على الثبوت أو شبهه، وأصلها مالك "اسم فاعل" التي تدل على معنى طارئ غير ثابت، ولا شبيه بالثابت[182]. فصفة "المليك" هي صفة ليست

---

[181] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 506.

[182] ينظر، عباس حسن، النحو الوافي، ط10، ج3، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص 242.

بطارئة ولا عارضة ولا مؤقتة بزمن محدّد، وإنّما هي صفة لصيقة بالله تعالى وهو خالق الكون.

إن خالق الشيء لا بد أن يكون مالكه، ومالك الشيء حر التصرف فيما يملك وهو ما عبّر عنه الفرزدق بالصيغة الثالثة بقوله(حكم السماء)، وما أقرّه حكم السماء فلا مردّ له، لذلك لزم عن هذا كله الثّبات والاستمرار. وهي بنيات لغوية أفرزتها السياقات الخارجية من معتقدات دينية كالايمان بالجبرية. فبالاستدلال المنطقي يمكننا اعتبار هذه الملفوظات بمثابة حجة عقلية، حيث اتخذ الفرزدق من صفة الله خالق الكون و الجاعل لهم فيه نسبا عريقا ومقاما رفيعا دليل على أن هذا النسب ثابت لا يتغير.

بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الصيغ "سامك السماء"، و"المليك"، و" حكم السماء" تتخذ خارج السياق اللغوي معنى تداوليا أو مقتضى تداوليا، حيث قام الفرزدق بنقل المقام أو الواقع الخارجي إلى داخل الملفوظ محققا بذلك فعلا لغويا آخر هو وجوب الطاعة والاستسلام لمشيئة الله، فلا مرد لمشيئته. ممهّدا بذلك (ضمن الشروط التمهيدية لنجاح الفعل اللغوي) لنجاح باقي حججه، وواضعا في نفس الوقت المتلقي موضع الضعيف العاجز. ويدخل هذا أيضا- حسب فيليب بريتون- ضمن الحقيقة العلمية التي ميّزها عن الحجّة، حيث يرى أن الحقيقة العلمية يقينية خاضعة للتجريب الذي يمنحها اليقين، ومثلها مثل المعتقدات الدينية أو الشؤون الإلهية، فما قاله الله لا بد من الأخذ به لأنه هو من يقول[183].

و ما يدعم هذا الاعتقاد الأفكار السائدة في البصرة إبان حكم الأمويين فقد كانت الحياة السياسية فيها تتنازعها أربع فرق دينية في ظاهرها وسياسية في حقيقتها هي:

- أهل السنَّة: وهم يرون أن سادة قريش ووجهاءها هم أحق بالحكم.

---

183 Voir : Philipe Breton, op. Cit. p : 26

- الشيعة: وهم يرون أن الحكم من أحقية الطالبيين من بني هاشم.
- الخوارج: وهم يرون أن الحكم يكون بالشورى بين الناس.
- المرجئة: وهم يرون أن الأمويين هم أولى بالحكم وتجب إطاعتهم حتى ولو كانوا على خطأ، فإنّما ترجأ أمورهم إلى الله، وهو الذي يحاسبهم. وتفرع عن هذا الصراع قضايا فكرية وفلسفية كمسألة " القضاء والقدر"، وهل الإنسان مخير أم مسير؟[184]

ويبدو لنا من خلال دعوى المدعي أنه يؤمن بالجبرية التي ترى أن الإنسان مسير لا مخير، وأنه لا يستطيع تغيير ما كُتب له في لوح القدر، وإن كان على إيمان حقيقي بهذا الاتجاه الفكري أم لا، فإنه يدّعي الإيمان به ويأخذه كحجّة تخدم موضوعه ومقصده . فهذا يمنح الصدق لأقواله سواء لمطابقة الخبر لاعتقاداته أو لمطابقتها للواقع، من حيث هو عظيم الأجداد وجرير خامل الأجداد. ويمكن تجسيد صورة هذا الاستدلال كما يلي:

م1: إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا أعزّ وأطول.

م2: ما بناه المليك ليس له من منقل.

نا: بيتنا أعزّ وأطول وليس له من منقل.

ولم يكتف المدعي في ادعاءاته بالطريقة غير المباشرة والمتمثلة في التضمين بل عمد أيضا إلى استعمال الاستراتيجية المباشرة بالتعبير الصريح على أن مكانة الخصم (وهو جرير) في أدنى السلّم الاجتماعي قائلا:

ضَرَبَتْ عَليكَ العَنْكَبوتُ بنَسْجِهَا، وَقَضَى علَيكَ بـــهِ الكِتابُ المُنْزَلُ[185]

---

[184] ينظر: عمر فرّوخ، تاريخ الأدب العربي، ص353.

[185] جرير، الديوان، ص 318.

يشير في هذا البيت إلى حجّة لا تقل عن الحجة الأولى قوة، آخذا من معنى الآية الكريمة ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[186] حجة تعطي للنص سلطة لغوية انطلاقا من السلطة اللغوية للنص المنقول عنه. فاستكمال النص يمكنه تأكيد التضمين الذي يستدعيه المعنى في هذا الملفوظ. فالمدعي في هذه الحالة يؤدي وظيفتين:

- وظيفة الادعاء.

- وظيفة الاعتراض.

كما أن الادعاء في حقيقته ادعاءان:

1- ادعاء معنى جلي(ظاهر) وهو: بيتي أعلى من بيتك والظاهر من خلال البيتين الأولين من القصيدة.

2- ادعاء معنى خفي(ضمني): وهو معنى مضمر يمكن استنتاجه من المعنى الجلي – السابق– وهو: بيتك أدنى من بيتي.

و الاعتراض أيضا في حقيقته اعتراضان:

1- اعتراض جلي وهو: بيتك أدنى من بيتي، وهو اعتراض صريح على الادعاء الخفي السابق، و الظاهر من خلال البيت السابع من القصيدة .

2- اعتراض خفي وهو: اعتراض على أن بيت جرير أحسن من بيته، وهو اعتراض خفي للادعاء الجلي السابق.

في ظل هذا الازدواج الوظيفي بين الادعاء والاعتراض تتقسم الذات المدعية إلى أربع ذوات هي:

---

[186] سورة العنكبوت، الآية 41.

- ذات مدعية جلية.

- ذات مدعية خفية.

- ذات معترضة جلية.

- ذات معترضة خفية.

وللتأثير على الخصم أكثر يقتضي على المدّعي أن يلجأ إلى تقنيات وآليات حجاجية أخرى لاثبات ادعائه، وهي مجموعة من الطرائق والآليات والتقنيات اللسانية و المنطقية والعقلانية التي تمكّن المدعي من تحقيق هدفه في التأثير على الطرف الآخر- من جهة- وتحريك الجمهور – من جهة أخرى- وهي خصائص تتحقق بها دلالات القول من داخله وفي علاقته بالظروف المقامية والمعرفية والنفسية- التي أشرنا إليها سابقا- والسؤال الذي يهمنا ونحن في مقام البحث عن الحجاج هو البحث عن نوع الحجج المعتمدة في الخطاب وطبيعتها.

وقد ميّز أرسطو بين ثلاثة مستويات حجاجية، الأول المتعلق بالمخاطب، والثاني بالمتكلم والثالث بالخطاب قائلا: " فأما التصديقات التي نحتال لها بالكلام فإنها ثلاثة: فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسمته، ومنها ما يكون بتهيئة للسامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها بالكلام نفسه قبل التثبيت."[187]

- يتعلق الأمر في المستوى الأول بالصفة أو الصورة التي يقدمها المخاطب عن نفسه.

- أما الأمر في المستوى الثاني فيتعلق بعملية التأثير في المستمعين (خوف، رهبة غضب، كراهية.)

---

[187] أرسطو طاليس، فن الخطابة، ص 10 .

- أما في المستوى الثالث فيتعلق الأمر فيه بالطرق الاستدلالية المعتمدة في الخطاب، وقد ميّز بين نوعين من الأدلة:

1- الأدلة التقنية(الحجج المصطنعة): والمتعلق بالبنية المنطقية للأقوال والمتعلقة بقدرات الخطيب.

2- الأدلة غير التقنية (غير المصطنعة): والمتعلقة بالوقائع والنصوص الاستشهادية الخارجة عن قدرات الخطيب، وتشمل النصوص القانونية، والشهادات القديمة، والسلطة المعنوية للشخصيات العظمى، أو الاستشهاد بواقع أو احتمالات الوقائع والعقود والاتفاقيات، والاعترافات والوصايا.

1-1- الأدلة التقنية:

من الطرائق والتقنيات الحجاجية في النقائض " الطرائق الذاتية "، والمتمثلة في تدخل الذات في العمليات الحجاجية، ليست فقط كونها طرفا من أطراف الحجاج ولكن كذات أسلوبية تمتلك أسلوبا قوليا معينا تتميز به عن غيرها من الذوات الأسلوبية الأخرى " ذلك أن فعالية وجدية خطاب المتكلم تقتضي تقديم أو إظهار بعض القدرات المعرفية، وبعض المصادر السياقية التي تنعكس بالضرورة في الطريقة أو البناء الأسلوبي الذي يصوغ به قوله الحجاجي"[188]

إلى جانب ذلك يعتبر " فيليب بريتون" أن الأساس في مخطط العلاقة الاستدلالية الوارد سابقا هو أن تتم الحجة وفق مبدأ الملاءمة أو المناسبة، أي اختيار الحجة وفق ما يناسب التداول، أما العناصر الثلاثة الأخرى: المتكلم، والمستمع، والحجة فهي بالنسبة له وسائط أو عوامل لتحقق هذا الغرض. فالأمر إذًا يحتاج إلى اختيار الأحسن، واختيار

[188] عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 173 .

الأحسن يقتضي " اللجوء إلى المتداول، سواء تعلق الأمر بالأخلاق أو القانون أو السياسة "[189] أو اللغة.

إن الصراع القائم بين جرير والفرزدق هو صراع لغوي بالدرجة الأولى، فهما ينتميان إلى عصر ازدهار اللغة، والشاعر الفحل – في رأي نقاد هذا العصر – هو الذي يستطيع اختيار اللفظ المناسب للتعبير عن المعنى المراد التعبير عنه. لذلك فلا مناص من القول إن المدّعي وظف آليات لغوية اقتضاها السياق، حيث أن كفاءته اللغوية وطبيعة الغرض الذي لأجله دخل في المناظرة رجَّحت توظيف بعض الأدوات اللغوية عن غيرها من الأدوات الأخرى.

من هذه الأدوات التعابير الدالة على صيغ أفعل التفضيل، وهو الذي يدل " – في أغلب صوره – على الاستمرار والدوام، ما لم توجد قرينة تعارض هذا، فشأنه في الدوام شأن الصفة المشبهة"[190]، وهي صيغة تدل على اشتراك الشيئين في معنى معين، وأن أحدهما يزيد في المعنى عن الآخر، سواء كان ذلك المعنى محمودا أو مذموما، وهو " اسم، مشتق، على وزن : « أفعل » يدل – في الغالب – على أن شيئين اشتركا في معنى، وزاد أحدهما على الآخر فيه. فالدعائم أو الأركان التي يقوم عليها التفضيل الاصطلاحي – في غالب حالاته – ثلاثة:

1)– صيغة: « أفعل »، وهي اسم، مشتق.

2) – شيئان يشتركان في معنى خاص.

3)– زيادة أحدهما على الآخر في المعنى الخاص."[191]

---

[189] محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، د.ط، أفريقيا الشرق، المغرب، 2005، ص 16 .

[190] عباس حسن، النحو الوافي، ص395.

[191] محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص395.

وهو ثلاثة أقسام:

1- مجرد من (ال) والاضافة وحكم هذا التقسيم أمران:

أ- وجوب إفراده وتذكيره في جميع حالاته، حيث لا تتغير في هذه الحالة صيغة أفعل التفضيل مع الجمع، أو المثنى، أو المذكر، أو المؤنث.

ب – وجوب دخول (من) جارة للمفضل عليه، شرط أن يكون قصد التفضيل باقيا ويستلزم ذلك أحكاما منها:

– جواز حذفهما معا، شرط وجود دليل عليهما.[192]

ومن أمثلة ذلك ما ورد في مطلع القصيدة، فقول الفرزدق: أعزّ وأطول، قصد منه أعزّ وأطول من بيتك (والكاف تعود هنا على جرير) " فلما صار في موضع الخبر استغنى عن « من » لقوة الخبر ، وخرج مخرج « الله أكبر الله أعلى وأجل » وفي كتاب الله جلّ وعزّ: ﴿ والساعة أدهى وأمر ﴾ "[193] وقوله في بيت آخر:

إنَّ ابــن ضَبَّةَ كــان خَيرًا والــدًا وأتَــمَّ فَــي حسبِ الكرَامِ وأفْضَلُ

غير أن الثعالبي في كتابه " فقه اللغة " استشهد ببيت الفرزدق في فصل من فصول كتابه والمعنون (فصل في أَفْعَلَ لاَ يُرادُ بِهِ التَّفْضِيلَ)[194]. وهو نفسه ما ذهب إليه ابن رشيق في عمدته قائلا: " وقال الطرماح يوما للفرزدق : يا أبى فراس، أنت القائل

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

---

[192] ينظر، عباس حسن، النحو الوافي، ج1، ص395 وما بعدها.

[193] أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، ج1، هامش الصفحة 292.

[194] ينظر، أبو منصور عبد الملك، الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربية، تحقيق: املين نسيب، ط1، دار الجيل، بيروت 1998، ص461 .

أعز مماذا وأطول مماذا؟ وأذن المؤذن، فقال الفرزدق: يالُكَّع ألا تسمع ما يقول المؤذن « الله أكبر » أكبر مماذا أعظم مماذا ؟؟ فانقطع الطرماح انقطاعا فاضحا وزعم بعض العلماء أن معنى الفرزدق عزيز طويل، ولكنه بناه على أفعل مثل أبيض وأحمر وما شاكلهما، فجعله لازما في ذلك من الفخامة في اللفظ والاستظهار في المعنى"[195]

2- مقرون « بأل» : وهذا يوجب أمرين:

أ- أن يطابق صاحبه في التذكير والتأنيث، والافراد و الجمع.

ب- عدم مجيء منْ الجارَّة للمفضل عليه

وذلك في مثل قول الفرزدق :

وأنا ابـــنُ حنظلةَ **الأغــرُّ**، وإنـــّني فـــي آل ضَــبَّةَ لَلْمُعَــمُّ المُخْــوَلُ

وقوله أيضا:

يابن المَراغةِ أين خـــالُك ؟ إنّــَني خـــالي حُبَيش ذو الفَعالِ **الأفْضَــلُ**

الأكثــرون إذا يُــعــدُّ حَــصاهُــمُ و**الأكْــرَمــونَ** إذا يُــعَــد الأوَّلُ

يمكن تمثيل ما سبق وفق المخطط التالي:

---

[195] ابن رشيق، العمدة، ص399 - 400.

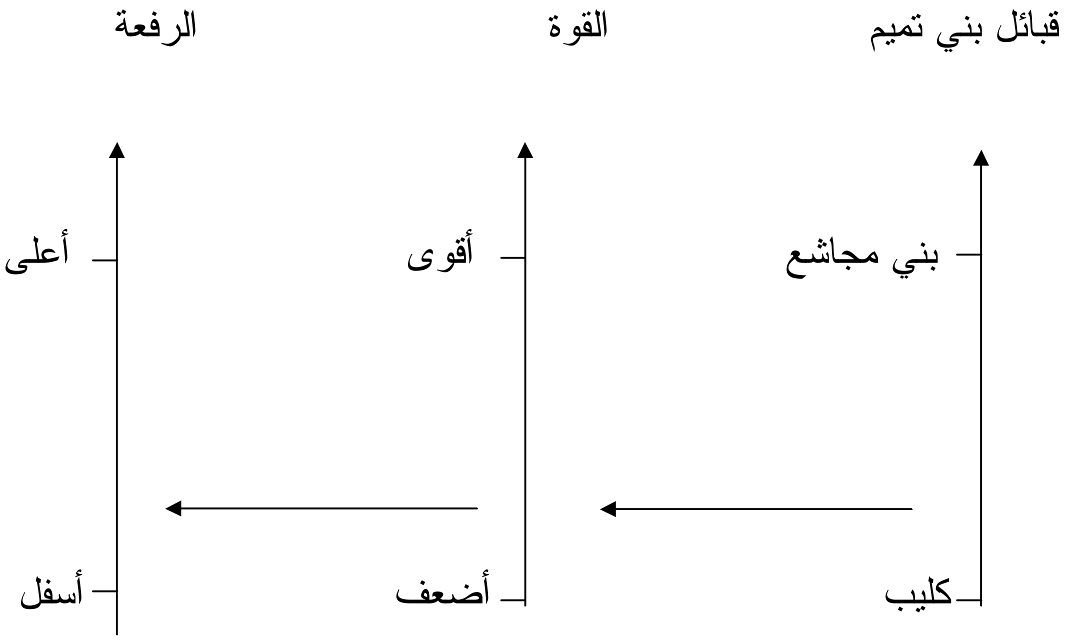

فحسب قانون الخفض للسلّم الحجاجي فإنه إذا صدق القول على مراتب معينة من هذا السلّم فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تأتي تحته، ووِفق السلّم الاجتماعي للمتناظرين فإن الفرزدق ينتمي إلى أحسن قبائل بني تميم وهي قبيلة مجاشع، أما جرير فهو ينتمي إلى أضعف هذه القبائل وهي بنو كليب.

ولكي يعبّر الفرزدق عن مقصديته من القول، وليدّعم صيغ أفعل التفضيل – السابقة- لجأ إلى توظيف بعض العبارات الدالة على القوة والكثرة، حيث تنتمي هذه العبارات إلى الفئة الحجاجية نفسها لأفعل التفضيل، حيث يفترض ديكرو O. DUCROT أن متكلما يصنف أو يضع الحجة جَ و ج في فئة حجاجية محددة بالقضية (م) إذا " اعتبر (جَ) حجة أعلى من (ج) (أو أقوى من (ج)) بالنسبة ل (م) إذا... قبل أن استنتاج (م) من (ج) يتضمن قبول استنتاج (م) من (جَ)، والعكس غير صحيح" [196] وهذه الحجج تدخل في إطار ما يسميه " بريتون" بالحجج السلطوية Les arguments d’autorité .

[196] Ducrot, Oswald, les échelles argumentatives, les éditions de minuit, 1980, p : 18.

تظهر سلطة المدعي بذلك من خلال سلطة بعض الصيغ الأسلوبية أو الكلمات التي يوظفها في خطابه، والتي تحمل معنى التفوق والقوة، ومن هذه الصيغ ما يدل على الكثرة وذلك في مثل قوله:

ومعصَّبٍ بالتَّـــاجِ يخفـــق فَـــوْقَـــهُ   خِـــرقُ المُلوكِ لـــه خميسٌ جَحْفَلُ

فكلمة خميس: تعني الجيش، أما الجحفل فتعني الكثير من الخيل.

و قوله أيضا:

وإذا دَعـــوْتُ بـــني فُقَيْـــمٍ جاءنـــي   مَجْرٌ، لَـــهُ العَـــدَدُ الّذي لا يُعْـــدَلُ

و إذا الـــرَّبائِعُ جـــاءنـــي دُفـــّاعُها   مَـــوْجًا كأنّـــَهُمُ الجراد المُرْسَـــلُ

فالمجر هو الجيش الكثير، أما الدفاع فهو السيل حين يكثر حيث شبّه كثرة الرجال بالسيل حين يندفع للتعبير عن قوة الجيش.

ومن الصيغ الدالة على القوة أيضا ما يظهر في قوله:

ولنـــا قـــراسيَةٌ تـــَظَلُّ خـــواضِعًا   مِنْـــهُ مخـــافَتَـــهُ القُـــرومُ البـــُزَّلُ

فالقراسية تعني الضخم من الابل، حيث شبّه العز القديم لقبيلته بالفحل وهو القراسية.

ويقول أيضا:

مُـــتَـــخَمِّـــطٌ قـــَطِمٌ لـــهُ عـــاديّـــَةٌ   فيـــها الفـــراقِـــدُ والسِّماكُ الأعْزَلُ

و المتخمط هو المتغضب في كبر. أما القطم فهو الهائج الثائر.

ويقول:

هذا وفي عــدويَّتي جُــرْثــومَــةٌ صعبٌ منــاكبُها نــياف عَيْطَــلُ

فالنياف و العيطل تعني الطويلة.

يقول أيضا:

وإذا البــراجمُ بالقــُروم تخاطــروا حَوْلي بأغْلَبَ عِــزُّهُ لا يــُنــزلَ

و القروم تعني الفحول.

وإذا بــذخْتُ ورايــتي يــمشي بها سفيانُ أو عُــدُسُ الفَعالِ وجنْدلُ

والبذخ يعني التفاخر في كبر.

وزحَلْتَ عن عَتَبِ الطَّريق ولم تجد قدمــاك حَيْثُ تَقومُ سُدَّ المَــنْقَــلُ

والعتب يعني الغلظ في ارتفاع.

حُلَــلُ الملوكِ لبــاسُــنَا في أهــلنا والسّابغاتِ إلى الوغى نتسرْبَــلُ

فلباس الملوك تعني الرفعة، والسابغات تعني الدروع والتي تدل على القوة.

أحلامُنــا تَــزِنُ الجِــبالَ رزانــةً وتخالنــا جِنًّا إذا مــا نــجهــلُ

والحلم يعنى العقل، والرزانة هي ثبوت العقل.

فــادْفَــعْ بكفّــك -إنْ أرَدْتَ بناءَنا- ثَهــلانَ ذا الهَضبَاتِ هَلْ يتحَلْحَلُ

ثهلان: يعني جبل، والجبل دليل القوة والعظمة.

فرعانِ قد بــلَغَ السَّمــاءَ ذُراهُــما وإليهما مِــنْ كلِّ خــوفٍ يُعقَــلُ

فالسماء دلالة الرفعة والسمو.

فلئِنْ فَـــخَرْتُ بهِـــمْ لمــِثْلِ قديمهِمْ   أعلـــو الحـــزونُ بِـــهِ ولا أتسَهَّلُ

والحزون الأرض العسيرة العالية.

وإذا كان للسكاكي فضل الزيادة في تقسيمه البلاغة إلى ثلاثة علوم (علم المعاني علم البيان، وعلم البديع) فإن لسابقيه فضل الريادة في الإشارة إلى هذه العلوم وخاصة منهم عبد القاهر الجرجاني، الذي حاول من خلال كتابه (دلائل الإعجاز) إنشاء علم للمعاني، فنظم الكلم عنده لا يتم بضم الشيء كيفما جاء واتفق، وإنّما باقتفاء المعاني وترتيبها حسب ترتّبها في النفس[197]، فقول القائل (قتل الخارجي زيد) بدل (قتل زيد الخارجي) إنّما لعلمه أن الناس الذين سيُلقى عليهم الخبر يهمهم منه فائدته، وهو أن يعلموا أن الخارجي قد مات فكفوا بذلك شرّه، ولا يهم في ذلك الفاعل بقدر ما يهمهم المفعول به.[198]

فكذلك قول الفرزدق:

وهـــمُ الَّذين عـــلى الأمِيلِ تداركوا   نعَمًـــا يُشَـــلُّ إلى الرَّئيس ويُعْكَلُ

وهُـــمُ الَّذين عَلَوْا عُمارة ضـــَرْبَـــةً   فـــوهاء فـــوق شؤونـــه لا تُوصَلُ

فالابتداء بالضمير (هم) وتأكيده باسم الموصول (الذين) كان للتركيز على الفاعلية فهو في مقام الفخر، ويعني بالضمير (هم) بني ضبة أخواله وزيد الفوارس منهم. كما نلاحظ أن التقديم والتأخير في الكلام في هذا المقام من دواعي الأغراض البلاغية المتمثلة

---

[197] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق : محمّد التونجي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005 ص 223 .

[198] ينظر: م. ن، ص 73-74.

في تقوية الحكم و تقريره، وذلك في مثل قوله: وهم الذين علوا، وهم الذين على الأميل ... فهذا أبلغ في تأكيد قوّتهم مما لو قال : والذين علوا، أو الذين على الأميل. " فتقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطا في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملا مقصودا يقتضيه غرض بلاغي أو داع من دواعيها "[199] ومن أهمها:[200]

1- التشويق إلى متكلم.

2- تعجيل المسرة أو المساءة للتفاؤل أو التطهير.

3- كون المتقدم محط الإنكار والتعجب.

4- النص على عموم السلب أو سلب العموم.

5- تقوية الحكم وتقريره.

6- التخصيص.

7- التنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت.

إن الخبر الذي ألقي على المخاطب من قبل المتكلم هو خبر إنكاري، لذلك لزم عن هذا الأخير توكيده – في بعض المواضع – بمؤكد أو اثنين ومن ذلك:

الأداة إنّ، في مثل قوله:

إنَّ ابـــن ضَبَّةَ كـــان خَيرًا والـــدًا   وأتَـــمّ فـــي حســـبِ الكرَامِ وأفْضَلُ

[199] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص 136 .

[200] م . ن . ص 138- 139 .

حيث تفيد إنّ في هذا الموضع توكيد الخبر الذي هو موضع الشك أو الإنكار لدى المخاطَب والمحقق لدى المتكلم، إذ من الخطأ البلاغي استخدام (إن وأن) لغير الموضع والتأكيد بهما.[201]

الأداتان: إنّ واللام، وذلك في مثل قوله:

إنَّـــا لـــَنَضْرِبُ رأسَ كُـــلِّ قبيلَـــةٍ   وأبـــوكَ خَـــلْفَ أتانِـــهِ يـــتقمَّـــلُ

مؤكّدا خبر قوتهم بمؤكّدين: اللام والأداة إنّ.

استخدم الشاعر في قصيدته البحر الكامل ذا التفعيلات المتكررة (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)، حيث يرى الباحث "أحمد سيّد محمد" في كتابه " نقائض ابن المعتز وتميم بن المعز " أن هذا الوزن يصلح للتعبير عن حالة الانفعال، في مقابل البحور ذات التفعيلات المختلفة التي تصلح – حسب نفس الباحث– للمناقشة.

1-2- الأدلة غير التقنية:

يدخل ضمن الحجاج ما هو خارج عن قدرات الشاعر اللغوية ويتمثل ذلك في الاستشهاد ببنيات ووقائع خارجية و"هي بنيات مستمدة من الواقع الماضي، بما يختزنه من تجارب إنسانية وأحداث تاريخية أو شخصية تترجمها الحِكَم والأمثال والحكايات والكنايات وغيرها...تكون معروفة من قبل، وذات قيم مجتمعية، تحظى باحترام واهتمام الأفراد والجماعات."[202]

وتدخل هذه التقنية الحجاجية ضمن كفاءة المدعي، مما يكسبه سلطة أكثر، فهو إلى جانب امتلاكه الكفاءة اللغوية والعلمية (كمعرفة اللغة، والنحو...)، يمتلك كفاءة

---

[201] ينظر: عباس حسن، النحو الوافي ج1، هامش الصفحة 631.

[202] عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 94.

معرفية، فهو مطلع على تاريخ الأدب العربي منذ العصر الجاهلي فذكَرَ شعراءهم وأيامهم، والمعارك التي خاضوها وانتصروا فيها، وقبائلهم، وقوادهم. وتدخل هذه التقنية أيضا ضمن ما يسميه الجاحظ بالشاهد و "هو استشهاد على شيء ما بقرآن أو حديث أو شعر أو مثل أو خبر مروي بهدف اثباته أو إنكاره أو الإحتجاج له أو بطلانه أو نحو ذلك."[203]

وقد لجأ إليها المدعي لأنها تنتمي إلى الآراء المشتركة Opinions communes التي تدخل ضمن حجج المشاركة – كما يسميها فيليب بريتون – مضيفا إليها المواضع Les lieux والقيم Les valeurs التي " تلعب دورا أساسا في الحجاج كنشاط تواصلي. "[204]

ضمن هذه الأبيات استشهد المدعي بالخبر الذي يعني " معلومة، تاريخية أو أدبية أو شخصية أو غيرها "[205] يرويه راوٍ واحد أو أكثر، يتناقله الرواة الآخرون فيما بينهم يكون أولهم شاهدا عليه وراويا له، والآخرون – من يأتون بعده – لا يتجاوزون حد الرواية وذلك بإشارته إلى وقائع وشخصيات وأحداث ينتمي بعضها إلى التاريخ السحيق، وبعضها الآخر عايشها الشاعران ومنها، مما ذكر في هذه النماذج : يوم بزاخة، يوم فلك الأميل ...الخ.

هذه الوقائع والشخصيات في أصلها هي بنيات تختلف عن بنية اللغة، لكنها بالمشافهة أو الكتابة أمكن تحويلها إلى وقائع لغوية، حيث تكتسب اللغة في هذه الحالة وظيفة إحالية بتحويل اتجاه المطابقة من الواقع الى اللغة. لأن " علم الإحالة يتيح إعادة بناء مجرد للواقع

---

[203] أبو عثمان، الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 86 .

[204] Philippe Breton, op. Cit. p, 72.

[205] عبد الله العشي، زحام الخطابات، ص 112 .

بحيث يمكننا ربط وحدات مجردة في اللغة/(الكلمات ومقولات وعلاقات) بوحدات مجردة في الواقع الخارجي، وذلك من خلال المعاني المفهومة لوحدات اللغة."[206]

يعبّر فان ديك عن ذلك بالحد، ويعرفه بقوله: " كل عبارة يمكن استعمالها للإحالة على ذات أو ذوات في عالم ما "[207] فكل جملة هي تعبير عن واقعة في عالم حقيقي أو متخيل. وتتكون الجملة من مجموعة من الحدود تدل على الذوات المشاركة في الواقعة التي تحيل عليها. وقد أشار المدعي في خطابه إلى بعض من الوقائع هي بمثابة حجج على ادعاءاته بامتلاكه المكانة العالية وسط القبائل الأخرى. وهي مدرجة مسبقا في النموذج الذهني للمخاطَب استنادا إلى المعارف المشتركة بينهما، ومن الوقائع ما يحيل عليه من خلال ما يلي:

وهُـــمُ على ابنِ مزيـــقياءَ تـــنازلوا   والخَيْـــلُ بين عجاجتيها القَـــسْطَلُ

وهـــمُ الَّذين عـــلى الأميل* تداركوا   نعَمًـــا يُشَـــلُّ إلى الرَّئيس ويُعْكَلُ

فيدل المحمول تداركوا، يشل، يعكل، على واقعة ما.

أما الحدود: ابن مزيقياء، الرئيس، والضمير (هم)- الذي يعود على شخوص ذكروا من قبل وهم: بنو ضبة وزيد الفوارس منهم- فهي ذوات مشاركة في الواقعة في حين يدل الحد: الأميل، على الظرف المكاني الذي تحققت فيه الواقعة وهو رمل يعرض ويستطيل مدار يوم أو يومين.

---

[206] فان ديك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، ط1، دار القاهرة للكتاب مصر، 2001، ص 50 .

[207] أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي- التركيبي، د.ط، دار الأمان، الرباط، 1996، ص 132 .

* يوم فلك الأميل، ويقال له أيضا يوم نقا الحسن، والحسنُ شجر يقال له كذلك لحسنه.

فيوم فلك الأميل كان لبني ضَبَّةَ على بني شيبان، حيث أغار بِسْطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشَّيْبانيّ (وقومه من بكر وائل) على بني ضَبَّة، فاستاق ألف بعير لمالك بن المنتفق (رئيس بني ضبة)، فأتى النذير بن ضبة فلحق بالخيل وشد عاصم بن خليفة على بسطام وقتله فرد النعم.[208]

أما قوله:

ومــــحرِّقًا صفـــدوا إلـــيْهِ يـــميـــنه   بصفـــادِ مقْتَســـرٍ أخـــوهُ مكَبّـَلُ

ملِــكان يَـــومَ بـــُزاخةٍ قتـــلوهُـــما   وكِـــلاهُـــما تـــاجٌ عليـــه مكلـــَّل

فهذه الأقوال أيضا تحيل بدورها على مجموعة من الحدود، فالمحمول: قتلوهما يدل على واقعة ما وهي (الحرب)، أما الحد "ملكان". فيشير إلى الذوات المشاركة في الواقعة ويقصد بها محرقا وأخاه زياد وهما ولدا الحارث بن مزيقياء ملك الحيرة. في حين يدل الحد " بزاخة " على الظرف المكاني الذي تحققت فيه الواقعة وهي بزاخة ويعني الماء.

ويوم بزاخة كان لضبّة على إياد، فقد أغار محرق الغساني وأخوه زياد– في إياد وطوائف من العرب من تغلب– على بني ضبّة بن أد ببزاخة، فاستاقوا النعم فلحقت بهم بنو ضبّة فأدركوهم، فاقتتلوا قتالا شديدا، فأسر زيد الفوارس محرقا وأخاه، فقتلتهما بنو ضبّة.[209]

أما قوله:

وهُـــمُ الَّذين عَلَوْا عُمارة ضـــَرْبـــةً   فـــوهاء فـــوق شؤونـــه لا تُوصَلُ

---

[208] ينظر: أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، ج1، ص302 .

[209] ينظر: أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، ص 306-309.

فيدل المحمول علوا على واقعة ما.

أما الحدود: هم، وعمارة، فهي ذوات مشاركة في الواقعة، في حين لم يذكر الحد الدال على الظرف المكاني الذي تحققت فيه الواقعة. وتشير كتب تاريخ الأدب إلى أن هذا اليوم يدعى: يوم أعيار أو يوم النقيعة.

أما قوله:

وعشيَّةَ الجَمَلِ المجلـَّل ضاربـوا ضـربًا شَـؤونُ فَـراشِهِ تَتـَزَيَّلُ

فالمحمولات : ضاربوا، تتزيل، تدل على واقعة ما، أما ضمير الجمع (للغائب) في ضاربوا فيحيل على الذوات المشاركة في الواقعة التي دارت بين الإمام علي و السيدة عائشة. أما الظرف المكاني فهو غير مذكور.

يدخل ضمن الأدلة غير التقنية أيضا المتفاعلات النصية الدينية، التي تتداخل بالتاريخ " وذلك من خلال إشارات إلى أسماء دينية لها بعد تاريخي(...) أو إشارات إلى بعض القصص أو الوقائع فيهما"[210]. فما يميز نقائض العصر الأموي عن نقائض العصر الجاهلي هو توظيفها لبعض ما ورد في القرآن سواء من ناحية المعاني أو الإشارة إلى بعض قصص الأنبياء، مما أدى إلى نموها وتطورها وتميزها.

من الوقائع التاريخية التي لمَّح إليها المدعي من خلال خطابه قصة موسى عليه السلام، حين فرّ من فرعون قاصدا فلسطين، فعندما وصل إلى مدين (جنوب فلسطين) وجد بئرا اجتمع فيه الناس يشربون منه ويسقون مواشيهم، فعندما وصل إليه لمح امرأتين واقفتين تُبعدان غنما لهما لئلا يختلط بغنم الآخرين وتنتظران حتى يخلو البئر من الرعاة

[210] سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2001 ص 107 .

– لضعفهما وقوة الرّجال– فلم يعجب ذلك موسى، فتقدم منهما يسألهما عن شأنهما فأخبرتاه أنّهما لا تقدران ورود الماء إلاّ بعد انصراف هؤلاء الرّجال لضعفهما وضعف والدهما وكبر سنه[211]. حيث إنه أول ما يتبادر إلى ذهن المتلقي– ممن له خلفية معرفية مسبقة عن قصص الأنبياء– وهو يقرأ هذا البيت.

إنّ الــزحام لغيــركُــمْ فتــحيّــَنوا وِرْدَ العشيِّ إليه يخلوا المــَنْهَــلُ

هي هذه القصة، حيث ماثل الفرزدق هنا بين الأختين اللتين وردتا الماء لسقي أنعامهما وبين جرير، وهذا التمثيل ليدلّل به على ضعفه مقارنة بقوته هو.

ويبدو أن القدماء قد تناولوا هذا المعنى أيضا، فليس من المستبعد أن يكون الفرزدق قد أخذه عن عمرو بن كلثوم القائل في معلقته المشهورة:

ونشْرَبُ إنْ ورَدْنا المَاءَ صَفْوًا ويَشْــرَبُ غيُرنا كَدِرًا وطِــينا[212]

فيمثل التناص في هذه الحالة دورا حجاجيا، وذلك بإظهار كفاءة الشاعر الموسوعية فمن مقاييس شعرية الشاعر في القديم أن يكون حافظا لشعر غيره من الشعراء، الفحول منهم خاصة كامرئ القيس، لبيد بن ربيعة...الخ

ومن المعاني القرآنية التي وظفها في خطابه معنى الآية الكريمة ﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ – كما أشرنا إلى ذلك سابقا– للتعبير عن مكانة خصمه الضعيفة.

---

211 ينظر:عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر، ابن كثير، قصص الأنبياء، ضبط وتصحيح: عز الدين الدمشقي د.ط، دار القلم العربي، حلب، 2003، ص202.

212 أبي عبد الله الحسين بن أحمد، الزّوزني، شرح المعلقات السّبع، د.ط، دار الجيل، بيروت، د. ت، ص188.

نستطيع في الأخير أن نلخص النموذج الشكلي العام للحركة الاستدلالية في خطاب المدعي وفق المخطط التالي، حيث بالاعتماد على العلاقة بين [المعطاة والنتيجة] بتقديم المعطاة على النتيجة أو العكس " يمكن اعتبارها مقطعا قاعديا، وإن سلسلة القضايا المكونّة للمقطع (مهما كانت طريقة تنظيمها) هي سلسلة يمكن قراءتها وتأويلها وفق العلاقة التالية"[213]:

معطاة / أدلة/ أسباب ←———————— نتيجة

والربط بين معطاة ونتيجة في المقطع البرهاني يكون مؤسسا صراحة أو ضمنيا بواسطة ضامن (GARANT) وسند أو دعامة (SUPPORT) . تكون المعطاة هي الظاهرة والسند هو المضمر أغلب الأحيان، أما العناصر الأخرى المكونة للمقطع البرهاني فهي تتأرجح بين الظهور والإضمار. وفي حالة الإستدلال في هذا الخطاب فإن الرابط (لأن) مضمر.

---

[213] عبد القادر بوزيدة، "نموذج المقطع البرهاني (أو الحجاجي)"، ص 306-307.

- في حالة الادعاء.

يا جرير أنا أفضل منك من حيث:

-النسب

- الشجاعة

- القوة

- الكرم

- الملكة الشعرية

نتيجة

لأنني

الضامن

السند

القرآن الكريم

القيم السائدة في المجتمع

أيام العرب

الأدوات اللغوية

- أنا ابن حنظلة بن مالك من سادة تميم.

- أنتمي إلى قبيلة مجاشع المعروف عنها:

- قوتها وشجاعتها: فهي لم تخض معركة إلا وانتصرت فيها.

- حبّ القبائل لها، فكلما طلبت مساعدة منها إلاّ ولبوا طلبها.

- قوة الحلفاء الذين تستنجد بهم

- ورثت الشعر عن الفحول مثل: امرئ القيس، علقمة، المهلهل...

- ورثت المنطق عن آل أوس (وهو أوس بن حجر، وكان على رأس المذهب الزهيري وعليه تخرج زهير وابنه كعب والنابغة والحطيئة .)

معطاة

في حالة الاعتراض.

يا جرير أنت أدنى مني

من حيث:

- القوة
- الشجاعة
- الكرم
- الملكة الشعرية

لأنك

أنت تنتمي إلى قبيلة من كليب المعروف عنها

- ضعفها
- انهزامها في المعارك
- اتصافها بالبخل

لست شاعرا فحلا

فأنت تسترق الشعر مني

الضامن

نتيجة **السند** **معطاة**

القرآن الكريم

القيم السائدة في المجتمع

أيام العرب

الأدوات اللغوية

2- آليات الاعتراض.

ينجم عن حالة الادعاء ردود أفعال لدى المتلقي، إما بالقبول أو الرفض والمخالفة. فالمناظرة عادة ما تكون من النوع الثاني. فالاعتراض من لوازم الادعاء ودليل على الفعالية الحجاجية بين الطرفين، ويدل خاصة على أن الفهم الجيد قد حصل. وما يميز الاعتراض عن الادعاء أن المعترض لا يكون فيه حرا في بناء خطابه أو استدلالاته، بل تتمثل وظيفته بالدرجة الأولى في تفنيد حجج المدعي. مما يجعله مقيدا .

فالاعتراض كما يقول "طه عبد الرحمان": فعل

- استجابي – لا ابتدائي – حيث أن المعروض عليه يصدر قوله كرد فعل على قول العارض.

- إدباري – لا إقبالي – فهو لاحق لقول العارض ويتجه أثره إلى ما قبله.

- تشكيكي: حيث يطالب المعترض خصمه بالتدليل على دعواه أو إبطالها.

- سجالي – لا وصفي – لأن النفي الاعتراضي هو ادعاء بمنازعة قول العارض بعكس النفي الوصفي الذي يكتفي بإعطاء النسبة الحكمية بين الموضوع والمحمول[214]

وعليه فإن المعترض حاول من خلال خطابه خلق نماذج من الحجج المضادة للنماذج المؤسسة من قبل المدعي وحاول إكسابها فعالية أكثر، حيث يفقد من خلالها النموذج الأصلي قيمته وفعاليته. فأنجع سلاح يمكن أن يردّ به المعترض على ادعاءات المدعي هو السلاح الذي هوجم به .

ومن حق المعترض أن يوجه ثلاثة أصناف من الاعتراضات على دعوى المدعي:

---

[214] ينظر، طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 43.

1- الاعتراض على اللفظ في حالة تعدد معانيه، أو غرابته، فيطالب المعترض من المدعي التفسير والتوضيح.

2- الاعتراض على صحة نقل الدعوى، في حالة ما إذا اعتمد المدعي في استشهاداته على النقل (من نص مكتوب أو مروي).

3- الاعتراض على مضمون الدعوى: ويكون بإحدى طريقتين:

- إما بالاستناد إلى دليل، ويشمل أصنافا ثلاثة: " المنع" و" النقض " و" المعارضة " .

- أو بعدم الاستناد إلى دليل ويسمى ب " المنع ".[215]

بدأ المعترض اعتراضه بتوظيف استراتيجية إمتاعية هدفها الإقناع وهذه الاستراتيجية هي استراتيجية التلاعب العاطفي المتعلقة بالمتلقين أوالمستمعين: الإيثوس-ETHOS-[*] بتعبير أرسطو، سواء تعلق الأمر بالمقصودين أو غير المقصودين بالخطاب. حيث بدأ قصيدته بالنسيب، على طريقة شعراء الجاهلية، لاستمالة الجمهور وذلك " لما فيه من عطف القلوب، واستدعاء القبول بحسب ما في الطباع من حب الغزل، والميل إلى اللهو والنساء، وإن ذلك استدراج إلى ما بعده. "[216]

بعدها باشر في غرضه وهو الهجاء أو بالأصح " النقض " بتفنيد أدلة المدعي وادعاء دعوى أخرى تساويها قيمة وتناقضها معنى، معتمدا في ذلك على الحجج السلطوية والحجج المشتركة، فهو شاعر وهذا يعني أنه يمتلك كفاءة لغوية تضاهي كفاءة خصمه وإلى جانب امتلاكه الكفاءة فهو أيضا يمتلك معرفة تمكّنه من الدفاع عن قضيته بنفس

---

[215] ينظر، طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص78-79 .

[*] Ethos : أصله روح الشعب ويعني الطبع المشترك بين جماعة من الناس تنتسب لمجتمع بعينه. ينظر: سهيل إدريس، المنهل، قاموس فرنسي- عربي، دار الآداب، بيروت، ط35، 2006، ص493.

[216] ابن رشيق، العمدة، ج1، ص364.

حجج المدعي. فإذا كان الفرزدق قد أشار إلى بعض الشعراء الذين يفتخر بهم في الشاعرية أو إلى بعض المعارك التي فازت بها قبيلته ليتباهى بها أمام خصمه، فإن جريرا أشار إلى الشعراء أنفسهم الذين افتخر بهم الفرزدق ليكونوا مصدر هجاء، كإشارته إلى المهلهل والمرقش اللذين لا يعتبر شعرهم من الشعر الجيد، ولا قالوا الكثير منه، إلى جانب إشارته إلى بعض المعارك التي هزم فيها الخصم، فقلب فخر خصمه هجاء.

ينفي إذا جرير ادعاءات الفرزدق باستلزام قضية أخرى تناقض القضية الأولى فيقلب السلّم الاجتماعي ليجعل مكانة قبيلته في أعلى السلم ومكانة خصمه أسفلها، فيقلب فخر خصمه هجاء وينسب الفخر الصحيح لنفسه حيث يقول:

إنَّ الّذي سَمَكَ السَّـماء بَنَـى لَنَـا عِزًّا عَـلاكَ فـما لَـهُ مِـنْ مَنْقَلِ

ويقول أيضا:

إنِّـي إلـى جَبَلَيْ تَـمِيمٍ مَـعْقِلي ومَحَلُ بيتي فـي اليفـاع الأطْوَلِ[217]

فيصبح السّلم الحجاجي للقضية الجديدة بهذا الشكل:

---

[217] ابن رشيق، العمدة، ج1، ص 358.

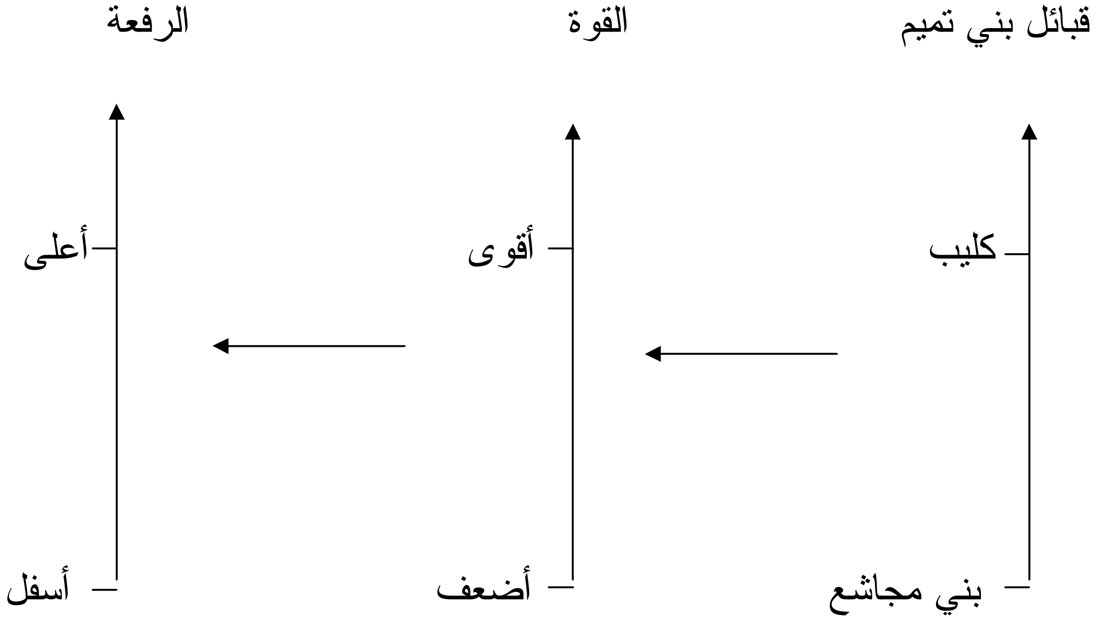

وقد وظّف الشاعر الأدوات اللغوية نفسها من: أفعل تفضيل(أطول)، وأدوات توكيد (إن) وعبارات دالة على القوة والرفعة(جبل). وهاجيا في الوقت نفسه خصمه ومعترضا على ادعاءاته، حيث يقول:

أخْزَى الذي سَمَــك السَّماءَ مُجاشِعًا وبَنى بنَاءكَ في الحَضِيضِ الأسْفَلِ[218]

إذ تجلى الاعتراض في هذا الملفوظ في رفض المعترض ادعاءات المدعي بتبديل قانون السلم الحجاجي- وهو عكس قانون الخفض – إذ يترتب على نفي إحدى المراتب السلمية نفي دلالة الخطاب، فإذا كان يدل على مدلول معين فإن نقيضه يدل على نقيض المدلول، كما أن الدليل الأقوى يتحول في حالة النفي إلى دليل أضعف والعكس صحيح.[219]

---

[218] جرير، الديوان، ص357.

[219] ينظر، طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص106.

وقد عبّر عن ذلك بالألفاظ التالية: أخزى، الحضيض، الأسفل، التي يمكن أن تشكل في ذاتها سلّما حجاجيا، فكلمة الحضيض أقوى دلالة على معنى المنزلة الحقيرة من كلمة أسفل وهذا يدلّ على تدني مكانة المدعي دون مكانة المعترض، فالله سامك السماء ورافعها أخزى مجاشعا وأنزل مقامها في الدرك الأسفل، وكلمة أسفل تستلزم كلمة أخرى هي أعلى من خلال علاقة التناقض.

وتبعا لذلك فإن المعترض ساير المدعي في ادعاءاته، حيث أوجب منه ذلك القيام بوظيفتين، تبعا لوظائف المدعي:

- وظيفة الاعتراض.
- وظيفة الادعاء.

كما أنه قام بنوعين من الاعتراضات:

1- اعتراض جلي على الادعاء الخفي، وذلك في مثل قوله:

أَخْزَى الذي سَمَــكَ السَّماءَ مُجاشِعًا   وبَنى بنَاءكَ في الحَضِيضِ الأسْفَلِ[220]

ويقول أيضا:

أبلــغْ بنـــي وقْبانَ أنَّ حُلــومَهُــمْ   خَفَّــتْ فـــلا يـــزنون حَبَّةَ خرْدَلِ[221]

[220] جرير، الديوان، ص358.

[221] جرير، الديوان، ص359.

2- اعتراض خفي على الادعاء الجلي: وهو معنى مضمر يمكن استنتاجه من المعنى الجلي السابق وهو: بيتي أعلى من بيتك.

والادعاء، أيضا ، في حقيقته ادعاءان:

1-ادعاء جلي على الاعتراض الخفي: وذلك في مثل قوله:

إنَّ الّذي سَمَكَ السَّـماء بَنَـى لَنَـا   عِزًّا عَـلاكَ فـما لَـهُ مِـنْ مَنْقَلِ[222]

ونشير هنا إلى أن المدعي الثاني(جرير) استند في ادعاءاته إلى نفس سند المدعي الأول (الفرزدق)، فالله سامك السماء جعل لهم عزّا أعلى من عزّهم بقوله (علاك) غير أن هذه الحجة تفوق الحجة الأولى قوة لأن كلمة "علاك" من الناحية الدلالية أقوى من دلالة الكلمات أعزّ وأطول. وتعود الكاف هنا على الفرزدق، وأن ما بناه الله لا مرد له لذلك لزم عن ذلك أيضا، الثبات والاستمرار. وهي بنيات أفرزتها السياقات الخارجية كالمعتقدات الدينية والايمان بالجبرية، فهي تعتبر من القيم المشتركة بينهما. فبالاستدلال المنطقي يمكن تجسيد هذه الصورة كما يلي:

م1 : إن الذي سمك السماء بنى لنا عزّا أعلى من عزّك.

م2 : ما بناه المليك ليس له منقل.

ن : إن عزّنا أعلى وليس له من منقل.

2- ادعاء خفي على الاعتراض الجلي: وهو معنى مضمر يمكن استنتاجه من المعنى الجلي السابق وهو: بيتي أحسن من بيتك.

تنقسم الذات المعترضة في الحالات السابقة إلى أربع ذوات:

---

[222] م . ن، ص. ن.

- ذات معترضة جلية.

- ذات معترضة خفية.

- ذات مدعية جلية.

- ذات مدعية خفية.

من الملاحظ من خلال الاعتراضات السابقة أن جريرا لم يعترض لا على ألفاظ الدعوى ولا على صحة نقل الأدلة المستشهد بها، وإنّما ركّز في اعتراضاته على مضمونها مستندا في ذلك على عدة سندات لتقوية الاعتراض.

يتشابه السند والدليل في أن كليهما "يُفيد معنى « الطريق الموصل» إلى ملفوظ أو معقول."[223] أما الملفوظ الذي يدرك بالسند فهو « المتن »، أما المعقول فهو نوعان:

- نوع التّقوية: ويمثل الأقوال التي يمكنها أن تقوي الاعتراض دون أن تلعب دور الدليل.
- نوع التأسيس: وهو مجموعة من الاعتبارات التي يتطلبها الدليل لإظهار وجه استقامته.

ويستند المعترض على النوع الأوّل من السندات وهو نوع التّقوية ويظهر ذلك من خلال ما يأتي.

يقول جرير:

أعْـــدَدْتُ للـــشُّعراء ســـمًّا نـــاقـــعا، فسقَيْـــتُ آخِـــرهُمْ بكَـــأْسِ الأوَّلِ[224]

[223] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص134.

[224] جرير، الديوان، ص 357.

فهذا القول جاء ردا على افتخار الفرزدق بالشعراء الذين سبقوه، الفحول منهم وغير الفحول بهجاء يشمل الشعراء قاطبة بأنه سيسقي الآخر بكأس الأول. وقصد جرير بالكأس هنا " القصيدة " وبالسّم " الهجاء " وذلك لوجود علاقة تجاور بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي وذلك على سبيل الكناية "التي هي أبلغ من الحقيقة، لإفادتها المعنى بطريق اللزوم الذي هو كادعاء الشيء ببيّنة."[225] فالمراد من هذا التركيب المجازي ليس المعنى الحقيقي وإنما المراد " إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللّفظ الموضوع له في اللّغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه."[226] فتكون حركة المعنى في هذا التركيب بهذا الشكل:

كأس ←── وعاء ←── شكل ←── قصيدة

سّم ←── معنى ←── محتوى ←── هجاء(مقصد)

فجرير يستطيع أن يهجو كافة الشعراء بقصيدة واحدة وسنده في هذا هو شهادة النقاد له بتفوقه في هذا الغرض.

والملاحظ من خلال هذا الاعتراض أن جريرا ركز على مسألة "الملكة الشعرية" في الرّد على الفرزدق، بالدرجة الأولى، وذلك يعود إلى كونهما متساويين فيها في حين أنه لم يركز، أو بالأحرى لم يبدأ، بالتفوق الاجتماعي، لأنه أدنى منه منزلة.

أما قوله:

أحْــلامُنا تَــزِنُ الجـِبالَ رَزانَــةً   ويَــفوقُ جاهِلُــنا فَــعالَ الجُهــَّلِ[227]

---

[225] عبد الجليل ناظم، البلاغة والسلطة في المغرب، ط1، دار توبقال للنشر، 2002، ص96.

[226] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص42.

[227] جرير، الديوان، ص358.

فهو رد على قول الفرزدق:

أحلامُنـــا تَــزِنُ الجِــبالَ رزانـــةً   وتخالنـــا جِنًّا إذا مـــا نـــجهـــلُ

مدعيا فيه أنهم إذا ثاروا وهاجوا في الحروب تفوقوا على كل من ثار أمامهم.

من سندات هذا الاعتراض أيضا:

- **السند الجوازي**: وصيغته:

إني لا أسلّم لك هذه الدعوى لم لا يكون كذا؟[228]

ومن أمثلته في الخطاب قول جرير:

حَسَـــبُ الفَرَزْدَقِ أن تُسَبَّ مُجَاشِعٌ   ويَعُـــدَّ شِعْـــرَ مـــُرَقِّش ومــُهَلْهِلِ[229]

وهو نقض لافتخار الفرزدق بالشعراء الذين ورث عنهم الشعر وعدّ منهم المرقش والمهلهل، حيث يرى جرير أنه يكفي الفرزدق إهانة أو تسبّ قبيلته أن يعد المرقش والمهلهل منهم. فالمهلهل معروف عنه اختلاف شعره واضطرابه وسمي بالمهلهل لهلهلة شعره كهلهلة الثوب. أما المرقش (الأكبر) فما روي عن شعره الكثير، لذلك لم يذكرهم ابن سلام الجمحي في طبقاته. فتكون صيغة هذا المنع بهذا الشكل:

إني لا أسلم لك دعوى تفوقك في الشعر لوراثتك له عن المهلهل والمرقش ← فلم لا يكون ذلك دليلا على أنك لست بالشاعر الفحل

- **السند الحلّي**: وصيغته:

---

228 ينظر، طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص80 .

229 جرير، الديوان، ص358.

يصح ما ذكرت لو كان الأمر كذا.[230]

ومن أمثلته في الخطاب قول جرير:

وامــدَحْ سَــراةَ بنـــي فُقَيْم إنَّهُــمْ   قتــلوا أبـــاكَ وثَأْرُهُ لَــمْ يــُقــتَلِ[231]

أعْيَتْكَ مأثُــرَةُ القُــيــونِ مُجاشـــعٍ   فانْظُرْ لعَلَّــكَ تــدَّعي مِــنْ نَهْشَلِ[232]

وهو نقض لافتخار الفرزدق ببني فقيم وبني نهشل، فيحق للفرزدق أن يفتخر ببني نهشل لو لم يقتلوا أباه، وببني نهشل لو كان ينتسب إليهم، فهذا سند على نقيض الدعوى، حيث عاب جرير على الفرزدق افتخاره هذا. فتكون صيغة المنع بهذا الشكل:

يصح لك أن تفتخر ببني فقيم ← لو ← لم يقتلوا أباك، كما أنّكم لم تثأروا له(حيث قتله ذكوان من بني فقيم وأمه من بني يربوع.

يصح لك أن تفتخر ببني نهشل ← لو ← أنّك تنتسب إليهم ولست من مجاشع.

- **سند قطعي:** وصيغته:

كيف ذلك وإلا كان الأمر كذا؟[233]

ومن أمثلته قول جرير:

وبرَحْرَحانَ تخضْخَضَتْ أصْلاؤكمْ   وفَــزِعْتُمُ فَــزع البطـــانِ العــُزَّلِ[234]

---

[230] ينظر: طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص80.

[231] جرير، الديوان، ص358.

[232] م. ن، ص357.

[233] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص80.

[234] جرير، الديوان، ص359.

وهو نقض لافتخار الفرزدق بقوتهم وشجاعتهم في الحروب. فهنا يحيل جرير على (يوم رحرحان)، وكانت الحرب فيه بين الأحوص بن جعفر ومعه أفناء عامر، وبين بني دارم ومعهم الحارث بن ظالم[235] فكانت الهزيمة فيها على بني دارم. فتكون صيغة هذا المنع:

كيف تدعون القوة والشجاعة، لو كان الأمر كذلك لانتصرتم في يوم رحرحان.

في الأخير نلخص النموذج الشكلي للحركة الاستدلالية للنقض في هذا الخطاب كما يلي:

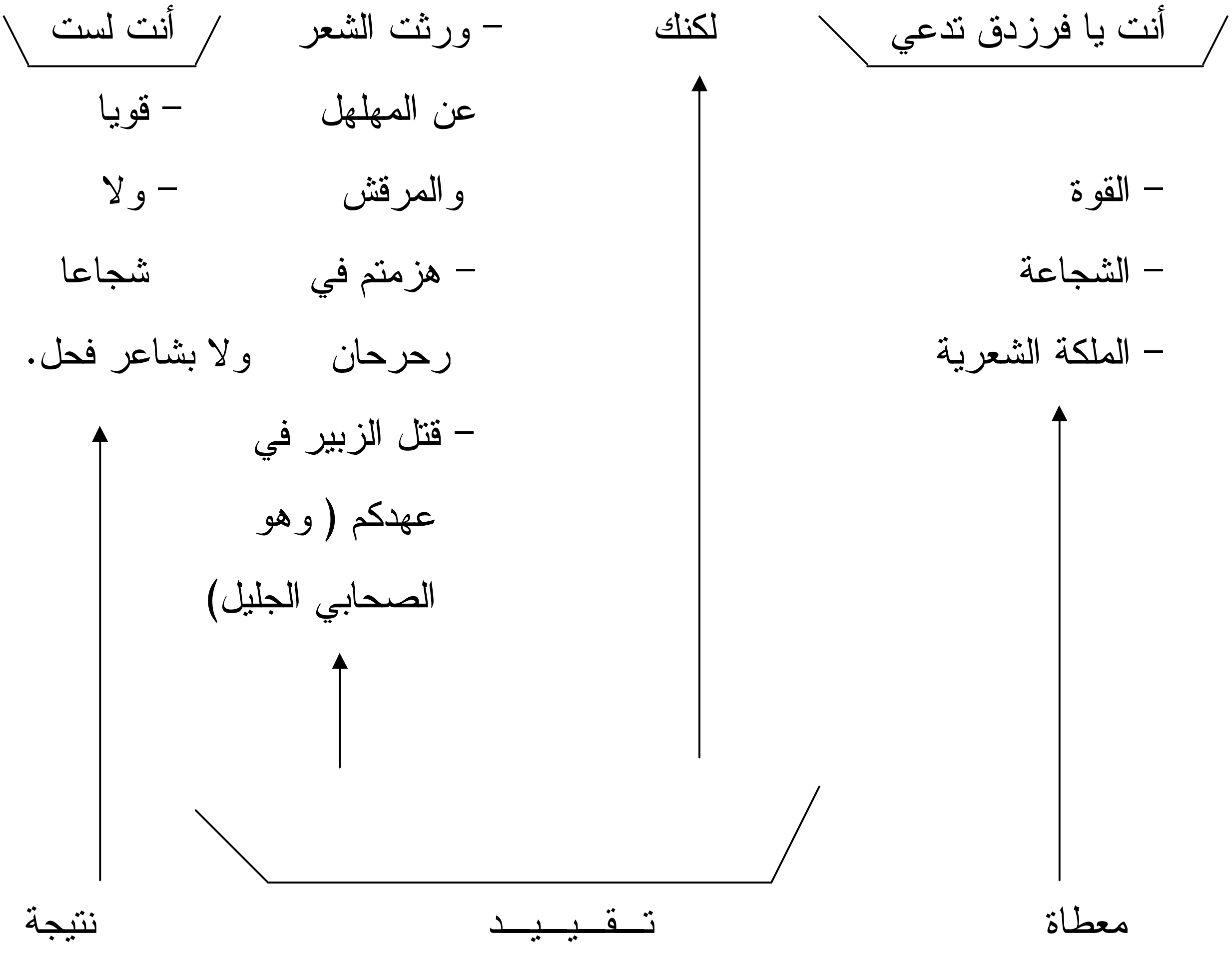

---

[235] ينظر: أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، هامش ص353 .

3- الوسائل البلاغية ودورها الحجاجي.

3-1 الاستعارة.

تظهر صورة الحجاج في النقائض من خلال القول المجازي، وعلى وجه الخصوص من خلال الاستعارة والتشبيه. فبعدما ظهر ما يسمى بالبلاغة الجديدة تحول النظر إليها من مجرد وسائل تزيينية إلى كونها آليات حجاجية.

وأولى هذه الوسائل، هي الاستعارة، وهي في اللغة من العارية أي نقل الشيء من شخص إلى آخر فتكون الصفة المعارة من خصائص المعار إليه. وقد كانت أكثر الوسائل البلاغية اجتلابا لاهتمام البلاغيين والنقاد فأغلبهم أجمعوا على أن الاستعارة إمّا نوع من التشبيه ذُكر أحد طرفيه أو هي نقل الاسم عن الشيء. وهذا ما جعل النّظر إلى الاستعارة منحصرا في الناحية الفنية الزخرفية. أما النظر إليها من وجهة نظر حجاجية فالفضل في ذلك يعود إلى العالم والناقد العربي " عبد القاهر الجرجاني" الذي أعطى لها مفهوما يجعلها تؤدي دورا فعالا في العملية الحجاجية، حيث يعرفها بقوله: " الاستعارة إنما ادِّعاءُ معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء."[236] نافيا بذلك مسألة النّقل التي قال بها البلاغيون قبله.

إن الادعاء كفعل حجاجي يستوجب ادخال المستعار له في جنس المستعار منه على وجه الحقيقة، وذلك بخلق عالم ثالث هو العالم الممكن، حيث يمكننا أن نجمع فيه بين عالمين ذي بنيتين ونسقين مختلفين، فنصيِّر المستحيل ممكنا عن طريق الخيال. لذلك اعتبره الجرجاني " أداة من أدوات الإقناع "[237] ما يجعل الاستعارة تتفلت من بعض المبادئ المنطقية كمبدأ الثالث المرفوع ومبدأ عدم التناقض. فالمبدأ الأول يجعل القول

---

[236] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 280 .

[237] أحمد عبد السّيد الصاوي، الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، دراسة تاريخية فنية، د.ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1988، ص 86 .

الاستعاري ونقيضه غير صادقين معا، مع أن منطق التفكيري يفترض كون أحدهما صادقا أو كاذبا. أما المبدأ الثاني فيجعل القول الاستعاري صادقا وكاذبا في الوقت نفسه. فيكون هذا العالم في هذه الحالة، غير تام وغير متّسق في الوقت نفسه. لذلك أكدَّ على حقيقة " أن الاستعارة لا تنحل إلى أجزائها التي تألفت منها، ذلك أن التحليل يفقدها جمالها، ويحول بينها وبين وظيفتها في التأثير النفسي وإثارة الإعجاب "[238] فدرجات التشابه بين المستعار منه والمستعار له تتزايد إلى درجة التطابق حيث تمّحي أبعادهما، ولا يتم ذلك في نظر الجرجاني إلا بالإعتماد على مبدأ نفسي هو "مبدأ التوهم" حيث ركّز على هذا المبدأ في تفريقه بين التشبيه الصريح والاستعارة " فحين يصل التشبيه إلى مستوى من الاختزال بحذف المؤشرات (حذف أداة التشبيه، حذف المشبه، ...الخ) فإنه يؤدي إلى توهم انتساب المشبّه إلى جنس المشبّه به، فيكون استعارة "[239] ومن أمثلة ذلك قولنا: رأيت أسدا " وذاك أنّا لا نجري اسم الأسد على المشبّه بالأسد حتّى ندّعي له الأسديّة وحتّى نوهم أنه حين أعطاك من البسالة والبأس والبطش ما تجده عند الأسد صار كأنه واحد من الأسود قد استبدل بصورته صورة الإنسان "[240]

وقد ذهب هذا المذهب في الاستعارة أيضا أمبرتو إيكو UMBERTO ECO الذي يرى أن تأويل الاستعارة يعتمد على تخيل العوالم الممكنة مما يسمح بإشراك هذا في خصائص ذاك، حيث " تستلزم إحدى وسائل استعادة المعالجة المرجعية للاستعارة تأكيد أن التعبير الاستعاري يجب أن يفهم حرفيا، لكن مع اسقاط محتواه على عالم ممكن "[241] ونستطيع تمثيل الوجه الحجاجي للاستعارة من خلال بعض الأمثلة الواردة في خطاب الفرزدق .

---

[238] أحمد عبد السيّد الصاوي، الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، ص 86 .

[239] محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، ص341.

[240] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، ط1، دار الفكر العربي بيروت، 1999، ص 230.

[241] Umberto Eco, Les limites de l'interprétation, traduit de l'italien par Myriam Bouzah, édition Bernard, paris, 1992, p .p : 160-161.

وقد أشرنا في الفصل الأول إلى أن النقائض يمكنها أن ترتقي إلى المرتبة الثالثة من مراتب الحوارية عند "طه عبد الرحمان" وهي مرتبة التحاور، ومعلوم أن المنهج الحجاجي لهذا الصنف من الحوار هو التّحاج الذي يأخذ بمبدأ التناقض في القول، ويظهر هذا المبدأ أكثر في التركيب الاستعاري الذي تدخل فيه آليتا الادعاء والاعتراض ويمكننا توضيح ذلك من خلال قول الفرزدق:

فاللُّــؤمُ يَمْنَــعُ مِــنكُمْ أن تَحْــتَبُوا   والعزُّ يَمْنَعُ حُبْــوَتي لا تُــحْلَلُ[242]

فهذا القول الطبيعي فيه التباس، ذلك أنّ لدينا فكرتين حول موضوعين مختلفين، فاللؤم والعزّ شيئان معنويان وليسا من خصائصهما المنع، بل هذه الخاصية من طبيعة الإنسان وما ينزع الالتباس عن هذا القول هو أن نجمع بين هاتين الفكرتين في تركيب واحد "بحيث تكون دلالتهما نتيجة لتداخلهما"[243] في إطار السياق الجديد فتنسب بذلك خاصية المنع إلى اللؤم والعزّ، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وهي الأبلغ في رأي الجرجاني من التصريحية لأن فيها إعمالا للفكر ولا يظهر فيها النقل[244] فالمراد هنا ليس تشبيه اللؤم والعزّ بالإنسان إلا من حيث له القدرة على المنع . والدليل في هذه الحالة تابع للادعاء، فيكون الادعاء في حقيقته ادعاءين:

- ادعاء ثبوت الصفة المشتركة وهي (المنع) للمستعار له وهو اللؤم والعزّ.

- ادعاء دخول المستعار له (اللؤم والعزّ) في جنس المستعار منه (الإنسان).

---

[242] الفرزدق ، شرح ديوان الفرزدق، ص 325.

[243] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص152.

[244] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 89 .

" ولكن إذا جرى الشّيء في الكلام هو دعوى في الجملة كان الآنس للقارئ أن يقترن به ما هو[شاهد] فيه فلم ير شيء أحسن من إيصال دعوى ببرهان "[245] فيستلزم عن هذين الادعاءين إذا وجود تدليلين:

يتمثل دليل الادعاء الأول في المستعار منه نفسه وهو الإنسان، ذلك لأن الصفة المستعارة وهي (اللؤم والعزّ) لازمة فيه. أما دليل الادعاء الثاني فيتمثل في الادعاء نفسه لأن " هذا الادعاء الثاني يبلغ الغاية في الإقناع، حتى إنه يصير بمنزلة قانون حجاجي يُدلِّل على نفسه ولا يدلِّل عليه غيره!. "[246]

ويعترض المدعي في نفس الوقت على القول الاستعاري ويظهر ذلك على مستويين: مستوى المعنى الحقيقي ومستوى المعنى المجازي.

فعلى مستوى المعنى الحقيقي فإن المدعي يعترض على وجود معنى حقيقي للخطاب أي الاعتراض على المطابقة بين المستعار منه والمستعار له، فيكون هذا القول متناقضا من داخله. فاللؤم والعزّ لا يساويان الإنسان، فأحدهما معنوي والآخر حسي، إذا فالأمر يحتاج إلى تأويل والذات المظهرة للقول الحقيقي تتحول إلى ذات مؤولة لنفس هذا القول. فهي لم تقصد سوى إخبارنا أن الشيء أشبه بالشيء في صفة من الصفات.

تتم عملية تأويل القول الحقيقي على مستوى المعنى المجازي، وهو مستوى الاعتراض الثاني، حيث أن الذات المدعية للمعنى المجازي للقول، أي التي تدّعي وجود تباين بين المستعار منه والمستعار له (اللؤم والعزّ ≠ الإنسان)، تعترض أيضا على هذا التباين، بل تقرّ بالتطابق بينهما (اللؤم = الإنسان)، مما يوقع هذا القول المجازي أيضا في تناقض داخلي. ولا نستطيع تفسير هذا إلاّ إذا اعتبرنا أن المدعي في هذه الحالة يضمر

---

[245] م. ن . ص35 .

[246] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص307 .

المعنى المقصود بالقول، وهو المعنى الأولى بالظهور من المعنى الحقيقي. فالحقيقة المقصودة هي مطابقة اللؤم والعز للإنسان لا من حيث الهيئة الخارجية، بل من حيث صفة معينة وهي المنع، والقرينة الدالة على ذلك الفعل (يمنع) وهي صفة جوهرية في الإنسان ولأنها كذلك استعيرت منه ونسبت إلى اللؤم والعز كشيئين معنويين وهذا ما يدل في المعنى العميق للخطاب على أن الفرزدق كمدع الخطاب يحتل مكانة عالية ولا يمكنه أن يتزحزح عنها، وبالمقابل فإن جرير دون هذه المكانة ولا يمكنه بلوغها.

نستطيع تمثيل حوارية هذه الاستعارة وفق المخطط التالي:

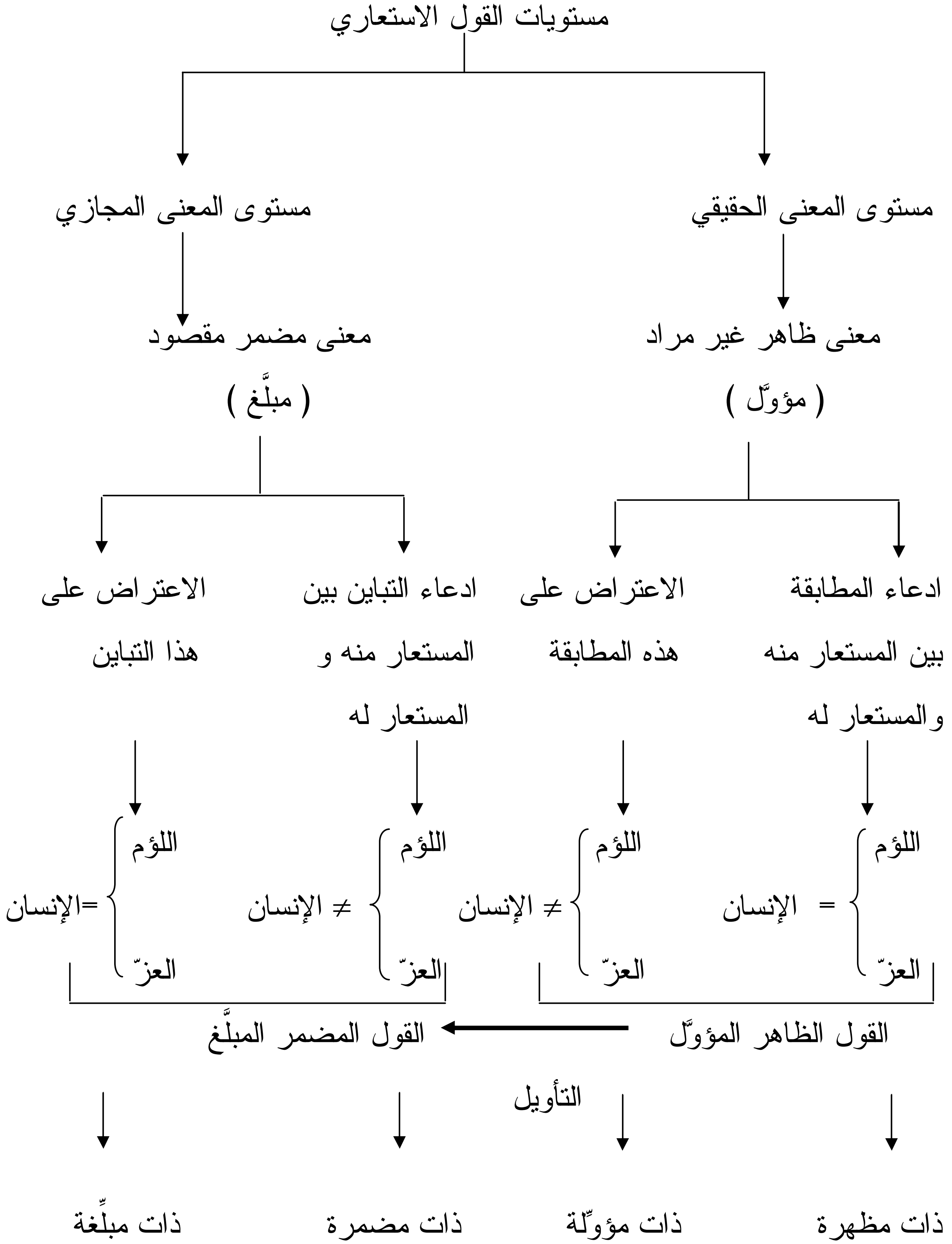
مستويات القول الاستعاري
مستوى المعنى الحقيقي
مستوى المعنى المجازي
معنى ظاهر غير مراد
(مؤوَّل)
معنى مضمر مقصود
(مبلَّغ)
ادعاء المطابقة بين المستعار منه والمستعار له
الاعتراض على هذه المطابقة
ادعاء التباين بين المستعار منه و المستعار له
الاعتراض على هذا التباين
اللؤم
العزّ
= الإنسان
≠ الإنسان
≠ الإنسان
=الإنسان
القول الظاهر المؤوَّل
القول المضمر المبلَّغ
التأويل
ذات مظهرة
ذات مؤوِّلة
ذات مضمرة
ذات مبلِّغة

2-3- التشبيه.

يلتزم الشاعر في إطار الشروط التمهيدية للمناظرة أن يأتي بخطابه في صورتين. صورة جميلة ليلحقه بجنس الخطاب الجميل، فتكون البلاغة في هذه الحالة بلاغة إمتاع وصورة تساعده من تقريب الخطاب من المتلقي للتأثير فيه وإقناعه واستمالته إلى نفسه فتكون البلاغة هنا بلاغة إقناع. وإذا كانت الاستعارة كوجه من وجوه الاستعمال المجازي للغة حاضرة في هذين الخطابين، رغم قلّتها، فإن التشبيه هو وجه آخر من وجوه هذا الاستعمال، وله حضور قوي في كلا الخطابين. وهذا ما يجعلنا نفترض أن هذين الخطابين لهما بعد تواصلي وبعد حجاجي.

يعد التشبيه إذاً وجها من وجوه الاستعمال المجازي للغة، وهو يقع في المرتبة الثانية بعد الاستعارة من ناحية درجة الوضوح والغموض، من جهة، ومن ناحية الإقناع، من جهة أخرى، فإذا دلت الاستعارة على المطابقة التامة بين المستعار منه والمستعار له إلى درجة الغموض، حيث تختفي فيه الصفة المستعارة، فإن التشبيه لا يدل بالضرورة على وجود هذا التطابق. فهو يعتبر وجها من وجوه المقارنة بين طرفين (المشبه) و (المشبه به) بإشراك هذا في صفة من صفات ذاك وله أربعة أركان:

- المشبه.

- المشبه به.

- وجه الشبه.

- أداة التشبيه.

يلعب المشبه والمشبه به في التركيب المجازي دوري المقيس والمقيس عليه . ويتم الربط بينهما بعلاقة " القياس " أو المقارنة حيث تستدعي هذه العلاقة أن يشترك هذان

الطرفان على الأقل في صفة واحدة تكون في المقيس عليه أصلية وفي المقيس غير أصلية وذلك حتى يتسنى لهذه الصفة المنزوعة من هذا ونسبها إلى ذاك أن تلعب دور الدليل فيمنح للتركيب المجازي دوره الحجاجي.

كما نجد أن الصفة المنزوعة من المشبه ونسبها إلى المشبه به تنحصر بين قيمتين إحداهما إيجابية والأخرى سلبية أي بين الصفة الحسنة والصفة القبيحة حيث يقول أرسطو " إذا شئنا أن نوشي موضوعنا، فينبغي أن نستمد استعارتنا من النوع الأحسن بين أنواع الجنس الواحد، وإذا شئنا تحقيره، فلنستمده من النوع الأخس."[247] لذلك نجد المتخاطبين استعملا نوعين من التشبيهات: تشبيهات حسنة، أي أن وجه الشبه فيها مستحسن وتشبيهات قبيحة حيث يكون وجه الشبه في التشبيه قبيحا أو مستهجنا.

من تشبيهات النوع الأول قول الفرزدق:

يَـــلِجُونَ بَيْتَ مُجَاشِعٍ، وَإذا احتبـــوْا   بَـــرزُوا كَـــأَنّهُـــم الجبـــالُ المـــُثَّلُ

يمشون في حلق الحـــديد كما مشت   جُرْبُ الجِمالِ بِـــها الكُحَيْلُ المُشْعَلُ

و إذا الـــرَّبائعُ جـــاءنـــي دُفـــّاعُها   مَـــوْجًا كأنّـــَهُمُ الجراد المُرْسَـــلُ

ولَـــقَدْ ورِثْـــتُ لآلِ أوسٍ مـــَنْطِقًا   كالسُّـــمِّ خالَطَ جـــانِبِيـــه الحَنْظَلُ

دَفَـــعـــوا إلـــيَّ كتابَهُـــنَّ وصيَّـــةً   فـــوَرِثـــْتُهُـــنَّ كَأَنَّهُـــنَّ الجَنْـــدَلُ

أما من تشبيهات النوع الثاني فقول جرير:

---

[247] أرسطو طاليس، الخطابة، ص 122 .

ودَعِ البَـــراجِـــمَ إنّ شِرِبَكَ فيهِـــم   مُـــرٌّ مـــذاقَتُـــهُ كطَعْـــمِ الحَنْظَلِ
مـــنْ بَعْدِ صَكَّـــتيَ البَعيثَ كأنـــَّهُ   خربٌ تنفَّخ مـــن حِـــذار الأجْـــدَلِ
لا تـــذْكُروا حُلَلَ المُلُـــوكِ فإنّكُـــمْ   بعدَ الزُّبَيْرِ كحائِضٍ لـــم تُغْسَـــلِ
ولقدْ تَبَيَّنَ فـــي وُجـــوهِ مـــجاشعٍ   لُـــؤمٌ يَثُـــورُ ضـــبابُهُ لا ينْجَـــلي
ولَـــقَدْ تَـــركْتُ مـــجاشِعًا وكأنَّهُمْ   فَقْعٌ بِمَدْرَجَـــةِ الخَـــميسِ الجَحْفَلِ
كـــانَ الـــفَرَزْدَقُ إذْ يعـــوذُ بِخالِـــهِ   مِثْلَ الذّليل يَعـــوذُ تَحْـــتَ القَـــرْمَلِ
أزْرَى بحِلْمِكُـــمْ الفـــيـــاشُ فأنْتُـــمُ   مِثْلُ الفراشِ غشِينَ نـــارَ المُصْطَلي

وأبرز تشبيه يرد في هذه المقاطع الشعرية هو التشبيه التمثيلي، وهو تشبيه صورة بصورة حيث يكون وجه الشّبه في الصورة منتزعا من أشياء متعددة. ونوضح ذلك من خلال ما يلي:

الصورة الأولى (المشبه)	الصورة الثانية (المشبه به)	وجه الشبه
بني مجاشع وهم في مجلسهم	الجبال العالية	القوة + السّمو
الجيوش المقاتلة والدروع عليهم	الجمال المهنوءة بالقطران	الهيئة + الحركة

الرّبائع في عددها وقوتها	الموج حين يتدفق والجراد	القوة + الكثرة
الشرب	طعم الحنظل	المرارة
البعيث + جرير	الخرب (ذكر الحبارى) + الصقر	تنفش الريش(الجبن) + القوة
مجاشع	الحائض التي لم تغتسل	النجاسة
مجاشع	فقع(كمأة)	الذّل
الفرزدق وهو يلتجئ بخاله	شجرة ضعيفة واهية	الذّل
مجاشع	الفراش	التفاخر في فراغ + قلة العقل

نلاحظ في هذه التشبيهات أنها تشبيهات واضحة وبسيطة، كما أن المشبه به استمد من الأشياء المادية الموجودة في الطبيعة مما يؤدي إلى عدم تكلف المتلقي عناء كبير في فهمها وتأويلها، فالهدف الأساس منها هو بيان حال المشبه للمتلقي وبيان إمكان إلحاقه بالمشبه به، لأن التشبيه في الحقيقة هو دعوى تحتاج إلى دليل أو برهان ويكون المشبه به

هو الدليل، مما ينتج عنه استمالة المتلقي وإقناعه بهذه الدعوى. كما يهدف هذا التشكيل الصوري أيضا إلى بناء صور تهكمية ساخرة لتحريك المتلقي وإمتاعه.

نستنتج من هذا الفصل أن العلاقة الاستدلالية علاقة أساس في النقائض، وهي التي تجعل الخطاب يتكوثر بتوليد حجة من حجة أخرى، كما نلاحظ أن الحركة الاستدلالية عند المتخاطبين مختلفة فكل طرف منهما سار في خطابه مسارا خاصا وفقا للقدرات الشعرية لكل منهما، فالأول مولع بالفخر فباشر فيه، والثاني يجيد النسيب فبدأ به .

الخصم الأول:

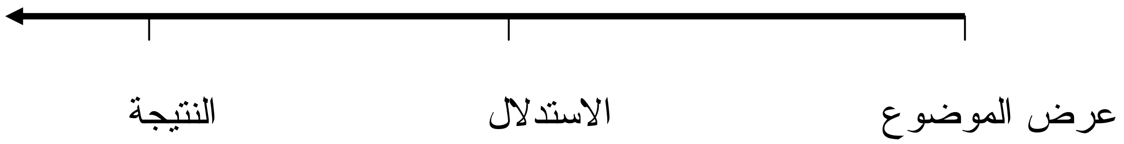

الخصم الثاني:

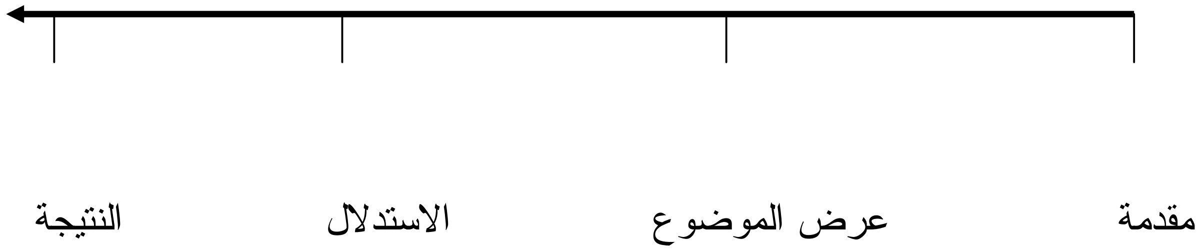

كما أن للاستعارة والتشبيه دورًا مهما في هذين الخطابين، فالتشبيهات المستمدة من الأشياء المحسوسة هي تشبيهات قريبة من متناول المتلقي حيث تقرب الصورة إليه وتقنعه، وهذا يتماشى مع طريقة الكتابة التي كانت سائدة عند الشعراء القدامى.

خاتمة

يعتبر شعر النقائض، كأي شعر قديم، نصا تراثيا حاول النقاد العرب وضع قوانين وقواعد له هي قريبة إلى حد كبير من القوانين الخطابية التي وضع أسسها باحثون غربيون عندما حاولوا دراسة اللغة في استعمالها. وهذه الأسس هي ما سمحت لهم بمحاولة وضع منهج علمي يأخذ بعين الاعتبار السياق والمقام في العملية التواصلية هو المنهج التداولي. حيث سمح لنا، نحن العرب، أولا: بإعادة النظر في تراثنا النقدي القديم الذي لم تغب عنه هذه القواعد والأسس، إلاّ أنها بقيت مجرد مفاهيم حوتها كتب النقد والبلاغة تبحث عمّن يمنهجها لتصير علما متكاملا قائما بذاته. وثانيا: إعادة قراءة تراثنا الإبداعي قراءة جديدة نتجاوز بها القراءات السابقة. فالحجاج كمبحث تداولي سمحت لي آلياته من إعادة قراءة شعر النقائض قراءة جديدة واستطعت من خلال ذلك أن أستنتج أنه كفاعلية خطابية يمكنه أن يرتقي إلى مرتبة التحاور التي تمثل أعلى مراتب الحوارية، وما ساعد على هذا هو التقارب المعرفي بين المتناظرين ومعرفة كل واحد منهما الآخر معرفة جيدة إلى درجة تصور أحدهما ما يمكن أن يفكر به الآخر. وإن كان اهتمامي انصب، في هذا البحث، على مرتبة المحاورة وحصر العملية الحجاجية في إطار الحجاج الذي يتقوم على عمليتي الادعاء والاعتراض. كما اتّضح لي أيضا أن المحاجج في النقائض لا يسعى إلى بناء نظرية مشتركة وإنّما يسعى إلى إثارة انفعال الطرف الآخر، وهذا ما يجعل الحجاج في النقائض حجاجا انفعاليا يحافظ على الاختلاف بين الطرفين، فلكل واحد منهما وجهة نظر لا تقبل أن تغيّرها الحجج المضادة.

كما أن هذا المنهج أظهر لي كيفية توالد النصوص من بعضها، فالنص المُضاد هو وليد النص الأول وهذا ما مكّن الخطاب من أن يتكوثر أولا: على مستوى اللغة، فهذا الكم الهائل من القصائد الشعرية استطاع من خلالها المتناظران التعبير عن مسألة واحدة وهي

مسألة التفوق الاجتماعي والأدبي. باعتماد الأساليب الحجاجية نفسها في القصائد كلها، بمعنى أن المدلول الواحد تمّ التعبير عنه بكم هائل من الدوال و التعابير وإن كنت لم أوضح هذا بالتدقيق في البحث. ذلك يعود إلى اعتمادي نموذجين اثنين حاولت من خلالهما إظهار عملية الحجاج التي تعتمد بالدرجة الأولى على بناء الحجة ونقضها. إضافة إلى ذلك إثراء اللغة العربية بالعديد من المفردات وذلك من خلال شعر الفرزدق الذي يشهد له النقاد بالفضل في المحافظة على ثلث أو ثلثي اللغة العربية.

ثانيا: على مستوى الذوات: فالمتناظران رغم كونهما، ذواتا حقيقية، ذاتين اثنتين إلا أنه يمكنهما أن يتقلّبا بين عدة ذوات اعتبارية: منها ذوات ناقلة ، ذوات مبلِّغة، ذوات مدَّعية، ذوات معترضة ... الخ

ثالثا: على مستوى الفائدة، فهو فعل نافع وصفة الانتفاع فيه تتمثل في ارتفاع كل متناظر برتبته، بل ويتعدى هذا الانتفاع الذوات المنتجة إلى الذوات الأخرى كالأسرة والأقارب والقبيلة، حيث لا يتكوثر إلا الفعل النافع على حد قول "طه عبد الرحمان".

واتّضح لنا أيضا أن المحاجج في النقائض لا يسعى إلى بناء نظرية مشتركة وإنما يسعى إلى إثارة انفعال الطرف الآخر، وهذا ما يجعل الحجاج فيها حجاجا انفعاليا يحافظ على الاختلاف بين الطرفين. فلكل واحد منهما وجهة نظر لا تقبل أن تغيّرها الحجج المضادة.

إذا كان خطاب النقائض خاضعا، كأي خطاب، لقوانين تحكمه، وهي التي ألمحنا إليها في الفصل الأول، فإنه ينفرد بخاصية قلّما نجدها في الشعر العربي، وهي خروج المتناظرين عن المبادئ التهذيبية، ومردّ ذلك يعود بالدرجة الأولى، إلى كونهما شاعرين، حيث يجوز للشاعر مالا يجوز لغيره. وثانيا إلى الاختلاف الديني والسياسي والمذهبي والتفاوت الاجتماعي بينهما.

هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها، من خلال هذا البحث، ولا أنسى نتيجة منهجية لا تقل أهمية عنها وهي الدور الفعّال الذي لعبه "طه عبد الرحمان" في محاولة التأصيل لمنهج المناظرة، حيث يمكن تحويل بعض مفاهيم هذا المنهج إلى إجراءات تجعلنا لا نطبق المناهج الغربية بحذافيرها. وقد فتح هذا البحث، المتواضع جدا، أفقا واسعا حيث اتّضح لي أنه بإمكان أي باحث أن يتتبّع الحركية الحجاجية في نقائض العصر الأموي (ثلاثي النقائض) من بداية نشأتها حتى نهايتها، وذلك بتناول القصائد كلها حسب ترتيبها الزمني وحصر جميع الآليات الحجاجية المعتمدة فيها، إلى جانب دراسة العلاقة التخاطبية بين الشعراء باعتبارها علاقة متحوّلة، ففي اعتقادي أن العلاقة بين الشعراء الثلاثة متغيّرة بحسب الظروف السياسية والاجتماعية والنفسية وهي علاقة ائتلاف تارة وعلاقة اختلاف تارة أخرى. كما يمكن للباحث أيضا أن يتناول ظاهرة التناص في النقائض، سواء تعلق الأمر بالتناص الداخلي أو التناص الخارجي فهي ظاهرة شديدة البروز فيها ولا بد أن يكون لها دورها الحجاجي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا :باللغة العربية:

القرآن الكريم.

1. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تقديم وتحقيق: صلاح الدين الهواري وهدى عودة، ط1، ج1، دار مكتبة الهلال، بيروت،1996.
2. أبو الحسن حازم، القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمَّد الحبيب بن الخوجة، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981.
3. أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تصحيح وضبط وشرح: أحمد أمين وأحمد زين، د.ط، ج1، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
4. أبو العبّاس شمس الدين أحمد، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه: إحسان عباس، د.ط، المجلّد الأول، دار الثقافة، بيروت، د.ت .
5. أبو عبد الله الحسين بن أحمد، الزّوزني، شرح المعلقات السبّع، د.ط، دار الجيل بيروت، د.ت.
6. أبو عبيدة معمر بن المثنى، ديوان شرح نقائض جرير والفرزدق، شرح وتعليق: محمد التونجي، د.ط، ج1، دار الجيل، بيروت، 2002.
7. أبو عثمان، الجاحظ، البيان والتبيين، تقديم وتبويب وشرح: علي أبو ملحم، ط2، المجلّد تأول، دار ومكتبة الهلال، بيروت،1992.
8. أبو عمر أحمد بن محمّد بن عبد ربّه، العقد الفريد، شرح وضبط وتصحيح: أحمد أمين وزملاؤه، د.ط، ج5، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983.
9. أبوالفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمّد علي النّجار، ط2، ج2، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
10. أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، تحقيق وإشراف: لجنة من الأدباء، ط5، المجلّد الثامن، دار الثقافة، بيروت،1981.

11. ـــــــــــــــ، كتاب الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط5، المجلّد الحادي والعشرون، دار الثقافة، بيروت،1981.
12. أبو القاسم الحسن بن بشر، الآمدي، الموازنة بين شعر أبى تمام والبحتري، تحقيق: السّيد أحمد صقر، ط2، ج1، دار المعارف، مصر، 1972.
13. أبو منصورعبد الملك، الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربيّة، تحقيق: املين نسيب، ط1، دار الجيل، بيروت، 1998.
14. أبو يعقوب يوسف، السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.
15. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، ط2، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1993.
16. أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، د.ط، دار الاتحاد العربي للطباعة القاهرة، 1966.
17. أحمد السيّد الصاوي، الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، دراسة تاريخية فنية، د. ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، د. ت.
18. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكوّنات أو التمثيل الصرفي- التركيبي، د.ط، دار الأمان، الرباط، 1996.
19. أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمان بدوي، د.ط مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1959 .
20. آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2003.
21. إيليا الحاوي، فن الهجاء وتطوره عند العرب، د.ط، دار الثقافة، بيروت، د. ت.
22. بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، د.ط، معهد البحوث والدراسات العربية، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1971.
23. جان سيرفوني، الملفوظية، ترجمة قاسم المقداد، د.ط، منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق، 1998.
24. حذيفة بن بدر بن سلمة، جرير، الديوان، د.ط، دار بيروت، بيروت، 1983.

25. حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي– الإسلامي، ط1، الشركة المصرية العالمية لونجمان، مصر، 2000.
26. السَّعْد مَسْعود بن عُمَر، التَّفْتَازاني، شرح العقائد النسفية في أصول الدين وعلم الكلام حققه: كلود سلامة، د.ط، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1974.
27. سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النّص والسياق، ط2، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء،2001.
28. السّيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيّات وإنشاء العرب، تحقيق وتصحيح لجنة من الجامعيين، د.ط، ج1، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت.
29. شاكر الفحّام، الفرزدق، د. ط، دار الفكر، د. ب، د. ت.
30. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي– العصر الإسلامي، ط14، دار المعارف القاهرة، د.ت.
31. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، د.ط، عالم المعرفة، الكويت، 1992.
32. طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005.
33. ــــــــــــ في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 2000.
34. ــــــــــــ اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 1998.
35. عباس حسن، النحو الوافي، ط6، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1979.
36. ــــــــــ النحو الوافي، ط10،ج3، دار المعارف، الفاهرة، 1992.
37. عبد الجليل ناظم، البلاغة والسلطة في المغرب، ط1، دار توبقال للنشر، 2002 .
38. عبد الرحمان، ابن خلدون، المقدمة، ط3، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني بيروت،1967.
39. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ط1، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006.
40. عبد العزيز عتيق، علم المعاني، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.

41. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1999.
42. ـــــــــــــ دلائل الإعجاز، شرحه وعلق عليه: محمد التونجي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005.
43. عبد الله العشي، زحام الخطابات، مدخل تصنيفي لأشكال الخطابات الواصفة، د.ط دار الأمل، تيزي وزو، 2005.
44. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، 2004.
45. عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر، ابن كثير، قصص الأنبياء، ضبط وتصحيح: عز الدين الدمشقي، د. ط، دار القلم العربي، سوريا، د. ت.
46. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، من مطلع الجاهليّة إلى سقوط الدولة الأمويّة، ط4، ج1، دار العلم للملايين، بيروت،1981.
47. فان ديك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، ط1، دار القاهرة للكتاب، مصر، 2001.
48. فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، د.ط، مركز الاهاء القومي، د.ت.
49. محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، قواعده، أساليبه، معطياته، د.ط، ج1، دار المنصوري، قسنطينة، د.ت.
50. محمد طروس، النظرية الحجاجية، من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء،2005.
51. محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، د.ط، أفريقيا الشرق، المغرب 2005.
52. محمد محمد حسين، الهجاء والهجاءون– في صدر الإسلام–، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1971.
53. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2005.

54. محمد علي نوح قوجيل، أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن، ط2، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس،2001.
55. ميشال أريفيه وآخرون، السيميائية، أصولها وقواعدها، ترجمة: رشيد بن مالك، د.ط منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002.
56. همّام بن غالب، الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، ضبط وشرح: إيليا حاوي، ط2 ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983.

ثانيا: باللغة الفرنسية

1. Emile Benveniste, problèmes de linguistique générale, 1 édition Gallimard, 1966.

2. Oswald Ducrot, les échelles argumentatives, les éditions de minuit, 1980.

3. Philippe Breton, l'argumentation dans la communication, 3ème édition, la découverte, paris, 2003.

المعاجم:

1. إبراهيم أنيس وزملاؤه، المعجم الوسيط، ط2، ج2، دار المعارف، مصر، 1973.

2. أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، د.ط، المجلد الأول، دار صادر، بيروت،1968.

3. ــــــــــــ، لسان العرب، د.ط، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، 1968.

4. ــــــــــــ، لسان العرب، ط1، المجلّد الخامس، دار صادر، بيروت، د.ت.

5. ــــــــــــ، لسان العرب، ط3، المجلّد السابع، دار صادر، بيروت، 1994.

6. ــــــــــــ، لسان العرب، ط1، المجلّد الرابع عشر، دار صادر، بيروت 1990.

3. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1984.

القواميس:

سهيل إدريس، المنهل، قاموس فرنسي- عربي، ط35، دار الآداب، بيروت، 2006.

المجلات.

عبد القادر بوزيدة، "نموذج المقطع البرهاني (أو الحجاجي)"، مجلة اللغة والأدب، العدد 12، الجزائر، ديسمبر 1997.

الرسائل الجامعية.

مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر و التراث العربي أطروحة دكتوراه، إشراف: عبد الله العشّي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2003-2004.

Site Internet :

http://fikrwanakd.aljabriabed.net

ملحق

إنّ الذي سمك السَّماء

إنّ الــذي سَــمكَ السَّماءَ بَنَــى لَنَا بــيتًا، دَعَــائِمُــه أعَــزُّ وأطْــولُ
بَيْــتًا بــنَاهُ لَنَا المَلِيكُ، وَمَــا بَــنَى حَكَــمُ السّمَــاءِ، فــإنّــهُ لا يُــنْقَــلُ
بَيْــتًــا زُرَارَةُ مُحْتَــبٍ بِــفِنَائِــهِ، وَمُجَاشِــعٌ وأبُــو الفَــوَارِسِ نَهْشَلُ
يَــلِجُونَ بَيْتَ مُجَاشِعٍ، وَإذا احتبــوْا بَــرزُوا كَــأَنّهُــم الجبــالُ المــثُّلُ
لا يَحْتَــبِي بِــفِــنَاءِ بَيْــتِكَ مِثْلُهُــمْ، أبَــدًا، إذا عُدّ الفَــعَــالُ الأفْضَــلُ
مِــنْ عِزِّهِمْ جَحَرَتْ كليبٌ بَيْــتَها زَرْبًــا، كأنّــهُــمُ لَــدَيْــهِ القُمَّــلُ
ضربَتْ عَليكَ الــعَنْكَبوتُ بنَسْجِهَا، وَقَــضَى علَيكَ بِــهِ الكِتابُ المُنْزَلُ
أيــن الّــذين بهــم تُسامي دارمًا ؟ أم مــن إلــى سلفَــيْ طهيَّة تَجْعلُ؟
يمشون في حلق الحــديد كما مشت جُرْبُ الجِمالِ بِــها الكُحَيْلُ المُشْعَلُ
والمانعون إذا النّــِساءُ تــرادفَــتْ حــذر السِّباء جــمالُها لا تُــرحلُ
يحمي إذا اخْتُرِطَ السُيُوفُ نِــساءَنا ضَــربٌ تَخِرُّ لهُ السَّواعــدُ أرْعَلُ
ومعصَّبٍ بالتَّــاجِ يخفــق فَــوْقَــهُ خِــرقُ المُلوكِ لَــه خميسٌ جَحْفَلُ
مَلِــكٌ تسوق لَــه الــرِّماحَ أكُفّــنُا منــه نــعلُّ صــدورهُــنَّ ونُنهِلُ

قـــد مات في أسلاتِـــنا أو عَضَّـــهُ		عضبٌ برونقِـــهِ الـــمـــلُوكُ تـــقتَّلُ

ولنـــا قـــراسيَةٌ تـــظَلُّ خـــواضِعًا		مِنْـــهُ مخـــافَتَـــهُ القُـــرومُ البـــزَّلُ

مُـــتَـــخَمِّـــطٌ قـــطِمٌ لـــهُ عـــاديّـــَةٌ		فيـــها الفـــراقِـــدُ والسِّماكُ الأعْزَلُ

ضَخْمُ المَناكِبِ تحت شـــجْرِ شؤونِهِ		بـــابٌ إذا ضَغَـــمَ الفـــحولَةَ مقصلُ

وإذا دَعـــوْتُ بـــني فُقَيْـــمٍ جاءنـــي		مَجْرٌ، لَـــهُ العَـــدَدُ الّذي لا يُعْـــدَلُ

و إذا الـــرَّبائِعُ جـــاءنـــي دُفـــّاعُها		مَـــوْجًا كأنَّـــَهُمُ الجراد المُرْسَـــلُ

هذا وفي عـــدويَّتي جُـــرْثـــومَـــةٌ		صعبٌ منـــاكبُها نـــيافٌ عَيْطَـــلُ

وإذا البـــراجِمُ بالقـــُروم تخاطـــروا		حَوْلي بأغْلَبَ عِـــزُّهُ لا يـــنُـــزلَ

وإذا بـــذخْتُ ورايـــتي يـــمشي بها		سفيـــانُ أو عُـــدُسُ الفَعالِ وجنْدلُ

الأكثـــرون إذا يُـــعـــدُّ حَـــصاهُـــمُ		والأكْـــرَمـــونَ إذا يُـــعَـــد الأوَّلُ

وزحلْتَ عن عَتَبِ الطَّريق ولم تجد		قدمـــاك حَيْثُ تَقومُ سُدَّ المَـــنْقَـــلُ

إنّ الـــزحام لغيـــركُـــمْ فتـــحيّـــَنوا		ورْدَ العشيِّ إليه يخلوا المـــَنْهَـــلُ

حُلَـــلُ الملوكِ لبـــاسُـــنَا في أهـــلنا		والسّابغاتِ إلى الوغى نتسرْبَـــلُ

أحلامُنـــا تَـــزِنُ الجِـــبالَ رزانـــةً		وتخالنـــا جِنًّا إذا مـــا نـــجهـــلُ

فـــادْفَـــعْ بكفّـــكِ –إنْ أرَدْتَ بناءَنا– ثَهـــلانَ ذا الهَضبَاتِ هَلْ يتحَلْحَلُ

وأنا ابـــنُ حنظلةَ الأغـــرُّ، وإنـــّني فـــي آل ضَـــبَّةَ لَلْمُعَـــمُّ المُخْـــوَلُ

فرعانِ قد بـــلَغَ السَّمـــاءَ ذُراهُـــما وإليهما مِـــنْ كلِّ خَـــوفٍ يُعقَـــلُ

فلئِنْ فَـــخَرْتُ بهِـــمْ لمـــِثْلِ قديمهِمْ أعلـــو الحـــزونُ بِـــهِ ولا أتسَهَّلُ

زَيْـــدُ الفـــوارسِ وابـــنُ زَيدٍ مِنْهُمُ وأبـــو قبـــيصةَ والـــرَّئيسُ الأوّلُ

أوصَى عشيَّةَ حينَ فـــارقَ رهـــطَهُ عند الشّـــَهادة في الصَّحيفةِ دغْفَلُ

إنَّ ابـــن ضَبَّةَ كـــان خَيرًا والـــدًا وأتَـــمّ فـــي حسبِ الكرَامِ وأفْضَلُ

مِمَّـــنْ يـــكون بـــني كُلَيْب رهطَهُ أو مَـــنْ يكـــونُ إليهِـــمُ يتخَـــوَّلُ

وهُـــمُ على ابنِ مزيـــقياءَ تـــنازلوا والخَيْـــلُ بين عجاجتيها القَـــسْطَلُ

وهـــمُ الَّذين عـــلى الأمِيلِ تداركوا نعَمًـــا يُشَـــلُّ إلى الرَّئيس ويُعْكَلُ

ومـــحرِّقًا صفـــدوا إلـــيْهِ يـــمينه بصفـــادِ مقْتَســـرٍ أخـــوهُ مكَبّـــَلُ

ملِـــكان يَـــومَ بـــُزاخةٍ قتـــلوهُـــما وكِـــلاهُـــما تـــاجٌ عليـــه مكلـــَّلُ

وهُـــمُ الَّذين علَوْا عُمارة ضـــَرْبَـــةً فـــوهاء فـــوق شؤونـــه لا تُوصَلُ

وهُـــمُ إذا اقتـــُسِم الأكابِـــرُ ردَّهُـــمْ وافٍ لضبَّـــة والـــرِّكابُ تُـــشَـــلُّ

جارٌ إذا غَــدَرَ اللِّئــامُ وفــى بــهِ   حَسَبٌ ودعوةُ ماجــدٍ لا يُــخــذلُ

وعشيَّةَ الجَمَلِ المجلــَّل ضاربــوا   ضــربًا شَــؤونُ فَــراشِهِ تَتــَزَيَّلُ

يابن المَراغةِ أين خــالُك ؟ إنّــَني   خــالي حُبَيش ذو الفَعالِ الأفْضَــلُ

خالي الّذي غَصَبَ المُلوكَ نفوسَهُمْ   وإليــهِ كــانَ جِــباءُ جــفنةَ يُنقَلُ

ولئِنْ جَدَعْــتَ بِبَظْــرِأُمِّكَ أنْــفَها   لِتنــالَ مِثْــلَ قَديمِهِــمْ لاَ تَــفْعَلُ

إنَّــا لــَنَضْرِبُ رأسَ كُــلِّ قبيلَــةٍ   وأبــوكَ خَــلْفَ أتانِــهِ يــتقمَّــلُ

يَــهِرُ الهَرانعَ عَــقْدُه عِنْدَ الخُصَى   بأذَلَّ حَيْــثُ يكــونُ مــَنْ يَتــَذَلَّلُ

وشُغِلْتَ عن حَسَبِ الكَرامِ وما بَنَوْا   إن اللّئــيمَ عــن المــكارمِ يُشْغَلُ

إنَّ الــّتي فُقــِئَتْ بــها أبــصارُكُم   وَهْــيَ الّتي دمغَتْ أباك : الفَيْصَلُ

وَهَبَ القصائِدَ لي النَّوابِغُ إذْ مَضَوْا   وأبــو يَزيدَ وذو القــُروحِ وجَرْوَلُ

والفَحْلُ عَلْقَمَةُ الّــذي كــانتْ لــَهُ   حُــلَلُ المــلوكِ كلامُهُ لا يُــنحَلُ

وأخــو بني قَيْسٍ وهــُنَّ قتــلْنــهُ   ومُهــَلْهِــلُ الشُعــراءِ ذاك الأوّلُ

والأعْــشَيان كِلاهُــما ومُــرَقِّــشٌ   وأخــو قــضاعَةَ قــوْلُهُ يُتَمــَثَّلُ

وأخــو بني أسَــدٍ عبيــدٌ إذْ مَضَى   وأبــو دؤادٍ قــوْلُــهُ يُــتــَنَحَّــلُ

وابْن أبــي سُلْمَى زُهَــيْرٌ وابــْنُهُ   وابنُ الفُرَيْعَةِ حينَ جَــدَّ المِقْــوَلُ
والجَعْفَــرِيُّ وكــان بِشْــرٌ قَبــْلَهُ   لي مِنْ قصائِدِهِ الكِتــابُ المُجْمَلُ
ولَــقَدْ ورِثْــتُ لآلِ أوسٍ مــَنْطِقًا   كالسَّــمِّ خالَطَ جــانِبيــه الحَنْظَلُ
والحارِثيُّ أخــو الحِماسِ وَرِثْــتُهُ   صَدْعًا كما صَدَعَ الصَّفاة المِعْوَلُ
يَصْدَعْــنَ ضاحِيَةَ الصَّفا عن مَتْنِها   ولَهُنَّ من جبلَــيْ عَــمايَةَ أثْقَــلُ
دَفَــعــوا إلــيَّ كتابَهُــنَّ وصِيَّــةً   فــوَرثــْتُهُــنَّ كَأَنَّهُــنَّ الجَنْــدَلُ
فيهِــنَّ شاركَني المُساوِرُ بَعْدَهُــمْ   وأخــو هوازِنَ والشَّآمي الأخْطَلُ
وبنو غُدانَةَ يَجْلِــبُونَ ولــم يكُــنْ   خَيْــلي يــقومُ لَها اللّئيمُ الأعْزَلُ
فَلْيَبْرُكَــنْ يا حِــقٌّ إنْ لــم تَنْتَهُوا   مِــنْ مالِكيَّ عَــلَى غُدانَةِ كَلْكَلُ
إنَّ استِراقَكَ يا جــريرُ قصائــدي   مِثْــلُ ادِّعاءِ سِــوَى أبيك تَنَقّــُلُ
وابْنُ المَراغَــةِ يدّعــي مِنْ دارمٍ   والعَــبْدُ غَيْــرَ أبيه قــد يتَنَحَّلُ
لــيسَ الكــرامُ بنــاحِلِيكَ أباهُــمُ   حَتَّى تُــرَدَ إلى عصيَّةَ تُعْــتَلُ
وزَعــمْتَ أنَّكَ قد رَضيتَ بما بَنَى   فاصبِرْ فما لَكَ عَنْ أبيك محوَّلُ
ولَئِــنْ رغِبْتَ سِوَى أبيك لتَرْجِعَنْ   عَبْــدًا إليْــهِ كَأَنَّ أنْفَــكَ دُمَّــلُ

وأزْرَى بــجَريكَ أنَّ أُمّــَكَ لَمْ تَكُنْ ... إلاّ اللّئيمَ مــِنَ الفُــحولَةِ تُفْحَلُ

قَبَــحَ الإلــهُ مَقــرَّةً فــي بَطْنــِها ... مِنْها خَرَجْت وكُنْتَ فيها تُحْمَــلُ

نَشَفَــتْ مَنِــيَّ أبيــكَ فَهْــيَ خبيثةٌ ... وبها إلى قَعْــرِ المَقَــرَّةِ يَضْهَلُ

يَبْــكي عــلى دِمــَنِ الدِّيارِ وأُمّــُهُ ... تعلوا على كَمرِ العَبيــدِ وتَسْفُلُ

وإذا بَكَيــْتَ عــلى أُمــامَةَ فاستَمِعْ ... قَــوْلاً يَــعُمُّ وتــارَةً يُتَنَخَّــلُ

أسَأَلْتَني عَــنْ حُبْــوَتي ما بــالُها ؟ ... فاسأل إلَى خبري وعَــمَّا تَسْأَلُ

فاللُّــؤمُ يَمْنَــعُ مِــنْكُمُ أن تَحْــتَبُوا ... والعِزُّ يَمْنَعُ حُبْــوَتي لا تُــحْلَلُ

واللهُ أثْبـــتَــها وعِــزٌّ لَــمْ يَــزَلْ ... مُقْعَنْسِـًــا وأبيكَ مــا يتحَــوَّلُ

جَبَــلي أعَــزٌّ إذا الحُروبُ تكشَّفَتْ ... مِمّا بنــى لك والــداكَ وأَفْضَلُ

إنِّــي ارْتَــفَعْتُ عَــلَيْكَ كُــلَّ ثنيَّةٍ ... وعَلَوْتُ فَوْقَ بني كُلَيْبٍ مِنْ عَلُ

هَلاَّ سَأَلْــتِ بني غُدانَــةَ مــا رَأَوْا ... حَيْــثُ الأتانُ إلى عمودِكَ تُرْحَلُ

كَسَــرَتْ ثنيَّتــَكَ الأتــانُ فشاهِــدٌ ... مِنْها بــفيكَ مُــبيَّنٌ مُــسْتَقْبَــلُ

رمَحَتْكَ حينَ عَــجِلْتَ قَبْــلَ وداقِها ... لكِــنْ أبــوكَ وَداقَــها لا يَعْجَلُ

جاؤوا بِحِقَّــةَ مُفْرِميــنَ عجانَــها ... يَحْدُو الأتــانَ بها أجيرٌ مــِرْحَلُ

وقَفَتْ لِتَرْجُزَني فقُلْتُ لَها: ابــْرُكي		يا حِقُّ أنتِ ومــا جَمَعْتِ الأسْفَلُ

وكَشَفْتُ عَنْ أيْري لَهَا فتجَحْدلــَتْ		وكَذاكَ صاحبةُ الــوِداقِ تَجَحْدَلُ

لَــقِيتْ أخــا نَـــعْظٍ لهــا مُتَبــذِّلاً		وأخـــوا المُفاضَحَةِ الَّـــذي يَتَبَذَّلُ

وتَرَكْتُ أُمَّــكَ يا جَــريرُ كَــأَنَّـــها		لِلنّــاسِ بــارِكَةً طَــريقٌ مُعْمَلُ

وكَأَنَّما كَمَــرُ الغُــواةِ عَــلى استِها		أوْرادُ م،ا سَقَتِ النَبــاجُ فــثيْتَلُ

يا حِقُّ ما نُبِّــئْتُ مِــنْ رَجُــلٍ لَــهُ		خُصْيــانِ إلاّ ابن المَراغَةِ يَحْبَلُ

شَــرِبَ المنيَّ فــأصْبَحَتْ في بَطْنِهِ		بَــظْرَاءُ أسْفَــلُ بــَظْرِهَا يَتَأكَّلُ

ولَئِـــنْ حَبِلْتَ لَــقَدْ شَرِبْتَ رَثــِيئَةً		مــا باتَ يَجْعَلُ في الوَليدَة نَبْتَلُ

باتَتْ تُــرَقِّــصُهُا العَبيدُ وعُسُّـــها		قَــرْبانُ مما يجْعَــلونَ وتَجْعَلُ

حَــتَّى إذا خَثَــرَ الإنـــاءُ كَــأنّــَما		فيه القَريسُ مِـــنَ المنِيِّ الأشْكَلُ

وكـــأنَّ خاثِــرَهُ إذا ارْتَثَــؤوا بـــه		عَسَلٌ لَهُــمْ حُلِبَتْ عَــلَيْهِ الإيَّــلُ

قالَــتْ وحاثَــرُهُ يــَكُرُّ عَــلَيْهِــمُ		وللَّيْــلُ مُخْتَلِــطُ الغَياطِلِ ألْيَــلُ

لا يُــشْتَهى إمَّاهُــمُ ارْتَثَــؤوا بــهِ		يَوْمَيْنِ مِنْ ثِقَلِ الشَّــرابِ المَأْكَلُ

هــذا الّذي زَحَرَتْ بِهِ أسْــتاهُكُــمْ		ويُــرَى لَــهُ لَــزَجٌ إذا يَتَمَثَّــلُ

سَجْــراءُ مُنْكَــرَةٌ إذا خَضخَضتَها مِنْـــها يــكادُ إنـــاؤُها يــتَزَيَّـــلُ

قالَـــتْ لَشاعِـــرِها، كُلَيْـــبٌ كُـــلُّها: أتتيــكُ أُمّـــكَ أمْ تــقُادُ فتُقْتَـــلُ؟

والمَوْتُ أهْــوَنُ ياجَرِيرُ مِـــنَ الّتي عُرِضَتْ عَلَيْكَ فأيَّ تَيْنِكَ تَفْعَــلُ؟

و المُرَّيَيْـــنِ يخــيِّرونَـــكَ مِنْهُـــما فالمَوْتُ مِنْ خَلْقَيْ عجوزِكَ أجْملُ

فاخــتْارَ نَيْكَ كَبيرَةٍ قَـــد أصْهَـــرَتْ شمطاءَ لِــيفُ عِجانِـــها يَتَفَتَّـــلُ

قالَـــتْ وقَـــدْ عَرَفَتْ جــريرًا أُمُّهُ: مَهْلاً جَرِيرٌ إلَـــيَّ جِئْــتَ تَغَــفَّلُ

إنَّ الـــحَياةَ إلـــى الـــرِّجال بغيضَةٌ بَعْدَ الّذي فَعَــلَ اللّئيــمُ الأثْــوَلُ

ســم نـــاقـــع

لِمَــنِ الدَّيــار كأنّـــها لـــم تُحْــلَلِ   بين الكِنــاسِ وبيْن طلحِ الأعزلِ

ولَقَدْ أرى بِكَ والجَديــدُ إلــى بِــلًى   مَوْتَ الهَوَى وشِفاءَ عَيْنِ المُجْتَلي

نَظَرَتْ إليكَ بِمِثْلِ عَيْنَـــيْ مُغْــزَلٍ   قَطَعَتْ حِــبالَتَها بأعْــلَى يَلْيَــلِ

وإذا الْتــَمَسْتَ نــوالَهَا بَخِلَتْ بــِهِ   وإذا عَــرَضْتَ بــوُدِّها لَمْ تَبْخَلِ

ولقــد ذَكَرْتُكِ والمَطــيُّ خــواضِعٌ   وكَأَنَّهُــنَّ قَــطا فــلاةٍ مَــجْهَلِ

يسْقينَ بالأُدْمــَى فِــراخَ تَنــوفَــةٍ   زُغْبًا حواجِبُهُنَّ حُمْرَ الحواصلِ

يأُمَّ نــاجيَةَ، السَّــلامُ علــيْــكُــمُ   قَبْلَ الــرَّواح وقبْلَ لَــوْمِ العُذَّلِ

وإذا غَــدَوْتَ فــباكَرَتْــكِ تحيَّــةٌ   سَبَقَتْ سُروحَ الشاحِجاتِ الحُجَّلِ

لــو كُنْتُ أعْــلَمُ أنَّ آخِرَ عَــهْدِكُمْ   يَــوْمُ الرَّحيلِ فعَلْتُ ما لَــمْ أفْعَلِ

أو كنْتُ أرهبُ وشْكَ بيــن عاجِــلٍ   لقنِعْتُ، أو لسَأَلْتُ ما لَــمْ يُسأَلِ

أعْــدَدْتُ للــشُّعراء ســمًّا نــاقــع   فسقَيْــتُ آخِــرهُمْ بكَــْسِ الأوّلِ

لَمَّا وضَعْتُ على الفــرزدق ميسَم   وضَغا البَعيثُ جَدَعْتُ أنْفَ الأخْطَلِ

أخْزَى الذي سَمَــكَ السَّماءَ مُجاشِعًا   وبَنى بناءكَ في الحَضِيضِ الأسْفَلِ

بيــتًا يُحَمِّــمُ قَيْــنُــكُمْ بــفــنِائِــهِ		دنِــسًا مــقاعِــدُهُ خَــبيثَ المدخَلِ

ولَــقَدْ بَنَيْتَ أخــسَّ بَيــتٍ يــبُتن		فــهَدَمْــتُ بيْتَكُــمُ بميْلَــيْ يَذْبُــلِ

إنّــي بَنَى لِيَ في المَــكارِمِ أوَّلــي		ونَفــخْتَ كيرَكَ في الــزَّمانِ الأوَّلِ

أعْيَتْكَ مأثُــرَةُ القُــيــونِ مُجاشــعٍ		فانْظُرْ لعَلَّــكَ تــدَّعي مِــنْ نَهْشَلِ

وامــدَحْ سَــراةَ بنــي فُقَيْم إنَّهُــمْ		قتــلوا أبــاكَ وثَأْرُهُ لَــمْ يــُقْــتَلِ

ودَعِ البَــراجِــمَ إنّ شَرِبَكَ فيهِــم		مُــرٌّ مــذاقَتُــهُ كطَعْــمِ الحَنْظَلِ

إنّــي انصببتُ من السَّمـــاءِ عليْكُمُ		حتَّى اختطفْتُكَ يافرزدق مــن علِ

مــِنْ بَعْدِ صكَّــتيَ البَعيثَ كأنــَّهُ		خربٌ تنفَّخ مــن حِــذار الأجْــدَلِ

ولــقَــدْ وَسَمْتُكَ يا بعيثُ بميسمي		وضَغا الفَــرزْدَقُ تَحْتَ حَدِّ الكلكلِ

حَسْــبُ الفَرَزْدَقِ أن تُسَبَّ مُجَاشِعٌ		ويَعُــدَّ شِعْــرَ مُــرَقِّش ومُــهَلْهِلِ

طَــلَبَتْ قــيُونُ بني قُفيرةَ سابــقًا		غَمْرَ البديهَةِ جامحًا في المِــسْحَلِ

قــُتِلَ الزُّبَــيْرُ وأنْتَ عاقدُ حُبــْوَةٍ		تبًّــا لِحَبْوَتــِكَ الّــتي لَــمْ تُحْلَــلِ

وأفــاكَ غَدْرُكَ بالزُّبيْرِ عــلى مِنًى		ومجَــرُّ جِــعْثِنِكُمْ بــذاتِ الحَرْمَلِ

بــاتَ الفــرَزْدَقُ يَسْتَجِيرُ لــنَفْسِهِ		وعِجانُ جِعْــثِنَ كالــطَّريقِ المُعْمَلِ

أيْــنَ الَّذينَ عَدَدْتَ أن لا يُدْرِكــوا بِمَجَرِّ جِعْثِــنَ يــابْنَ ذاتِ الدُّمَّلِ؟

أَسْلَــمْتَ جِعْثِــنَ إِذْ يُــجُّر بِرِجْلِهَا والمِنْقَــرِيُّ يَــدوسُها بالمِــنْشَــلِ

تَهْوِي استُها وتَقولُ: يــالَ نجاشِعٍ ومَشَــقُّ نُقبــتِها كــعَيْنِ الأَقْبــلِ

لا تــذْكُروا حُلَلَ المُلُــوكِ فإنّكُــمْ بعدَ الزُّبَيْرِ كحائِضٍ لــم تُغْسَــلِ

أبُــنَيَّ شِعْــرةَ، لَنْ تَسُــدَّ طَرِيقَنا بالأعْمَيَيْــنِ ولا قُفَيْــرَةَ فــازْحَلِ

ما كانَ يُنْكَرُ فــي نِــديِّ مجــاشِعٍ أكْلُ الخَزيــرِ ولا ارتِضاعُ الفَيْشَلِ

ولقدْ تَبَيَّنَ فــي وُجــوهِ مــجاشِعٍ لُــؤمٌ يَثــورُ ضــبابُهُ لا ينْجَــلي

ولَــقَدْ تَــركْتُ مــجاشِعًا وكَأَنَّهُمْ فَقْعٌ بِمَدْرَجَــةِ الخَــميسِ الجَحْفَلِ

إنِّــي إلــى جَبَلَيْ تَــمِيمٍ مَــعْقِلي ومَحَلُ بيتي فــي اليفــاعِ الأطْوَلِ

أحْــلامُنا تَــزِنُ الجِــبالَ رَزانــةً ويَــفوقُ جاهِلُــنا فــعالَ الجُــهَّلِ

فارجِعْ إلى حَكَمَيْ قُريــشٍ إنّهُــمْ أهْــلُ النُّبــوَّةِ والكِــتابِ المُنْــزَلِ

فاسْأَلْ إذا خَرجَ الخِــدامُ وأحْمِشَتْ حَرْبٌ تضرَّمُ كالحَــريقِ المُشْعَــلِ

والخَيْلُ تَنْحِطُ بالــكُماةِ وقــد رأوْا لَــمْعَ الرَّبيئةِ في النِّيــافِ العَيْطَلِ

أبنــو طُهيَّــةَ يَعْدِلــونَ فــوارِسي وبنــو خَــضافِ وذاكَ ما لَمْ يُعْدَلِ

وإذا غَضِبْتُ رَمَى ورائي بالحَصى ... أبناءُ جَنْدَلَتي كَخَيْرِ الجَنْدَلِ

عمرٌو وسَعدٌ يافرَزْدَقُ فيهِم ... زُهْرُ النُّجُومِ وباذِخاتُ الأجْبُلِ

كانَ الفَرَزْدَقُ إذْ يعوذُ بِخالِهِ ... مِثْلَ الذّليل يَعوذُ تَحْتَ القَرْمَلِ

وافْخَرْ بضَبَّةَ إنَّ أُمّكَ منْهُمُ ... لَيْسَ ابنُ ضبَّة بالمُعَّمِ المُخْوَلِ

وقَضَتْ لنا مُضَرٌ عَلَيْكَ بفَضْلِنا ... وقَضَتْ رَبيعَةُ بالقَضاءِ الفَيْصَلِ

إنَّ الّذي سَمَكَ السَّماء بَنَى لَنَا ... عِزًّا عَلاكَ فما لَهُ مِنْ مَنْقَلِ

أبلِغْ بني وقْبانَ أنَّ حُلُومَهُمْ ... خَفَّتْ فلا يزنون حَبَّةَ خرْدَلِ

أزْرَى بحِلْمِكُمْ الفياشُ فأنْتُمُ ... مِثْلُ الفراشِ غشِينَ نارَ المُصْطَلي

لَوْ نِكْتَ أمَّكَ بَعْدَ أَكْلِ خزِيرِها ... لِتَعُدَّ مِثْلَ فَوارس لَمْ تَفْعَلِ

في مُزْبَدٍ غَمِقٍ كأَنَّ مَشَقَّهُ ... خَلُّ المجازُةِ أو طَريقُ العُنْصُلِ

تَصِفُ السُّيوفَ وغيْرُكُمْ يَعْصَى بها ... يابْنَ القُيون وذاك فِعْلُ الصَّيْقَلِ

وبرَحْرَحانَ تخضْخَضَتْ أصْلاؤكمْ ... وفَزِعْتُمُ فَزَعَ البِطانِ العُزَّلِ

خَصِيَ الفرزدق والخِصاءُ مَذَلَّةٌ ... يرجو مُخَاطَرَةَ القُرومِ البزُّلِ

هابَ الخواتِنُ من بَناتِ مُجاشِعٍ ... مِثْلَ المحاجِنِ أو قرونِ الأُيَّلِ

وكـــأَنَّ تحْت ثياب خُورِ نِسائِهِـــمْ بَطًّا يُصَـــوِّت فـــي صَراةِ الجَدْوَلِ

قَـــعَدَتْ قُفَيْـــةَ بالفَـــرَزْدَقِ بَعْدَمــا جَهَـــدَ الفَـــرَزْدَقُ جَهــدَهُ لا يأْتَلي

أَلْهَـــى أباكَ عـــن المكَارِمِ والعُلَى ليُّ الـــكتائِف وارتـــفاعُ المِـــرْجَلِ

ولَـــدَتْ قُفيْرةُ قَـــدْ عَلِمْتـــُمْ خَبِيْثَةٌ بَعْـــدَ المَشيبِ وبَـــظْرُها كالمِنْجَلِ

بِزَروت أرْقَصَتِ القعودُ فِراشَـــها رَعَثَـــاتِ عُنْبُلِها الغِدَفْلِ الأرْعَـــلِ

أشْرَكْتِ إذْ حُمِلَ الفَرَزْدَقُ خَبِيْثَـــةً حَـــوْضَ الحِـــمارِ بِلَيْلَةٍ مِنْ نَبْتَلِ

أبْـــلِغْ هـــَدِيَّتي الفَـــرَزْدَقُ إنَّـــها ثِقَلٌ يُـــزادُ علـــى حَـــسيرٍ مُثْقَلِ

إنَّا نُقيمُ صَغَا الرُّؤوسِ ونَخْتَلـــي رَأْسَ المـــُتَوَّجِ بالحُســـامِ المقْصَلِ